❊ قال العلامة صالح الفوزان –حفظه الله-: **وإذا اجتمع المسلمون على التوحيد ومنهج السَّلف؛ وقفوا في وجهِ عدوِّهم صفَّاً واحداً، وإذا تفرَّقوا إلى مناهج لم يستطيعوا الوقوف في وجه عدوِّهم** ا.هـ. "الأجوبة المفيدة على أسئلة المناهج الجديدة" (ص:٨٥).

❊ وقال –حفظه الله-: **التحذير من المناهج المخالفة لمنهج السلف يعتبر جمعًا لكلمة المسلمين لا تفريقًا لصفوفهم، لأنّ الذي يفرّق صفوف المسلمين هو المناهج المخالفة لمنهج السلف** ا.هـ. المرجع السابق (ص:٨١).

الأَجْوِبَةُ العِلْمِيَّة

عَلَى مَنْ طَلَبَ إِيقَافَ نَشْرِ الكُتُبِ المَنْهَجِيَّة وَاحْتَجَّ بِبَعْضِ الشُّبُهَاتِ الخَلَفِيَّة

تَأْلِيفُ

أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ مُعَاذِ بنِ أَحْمَدَ بنِ فُؤَادِ الزَّعِيمِ

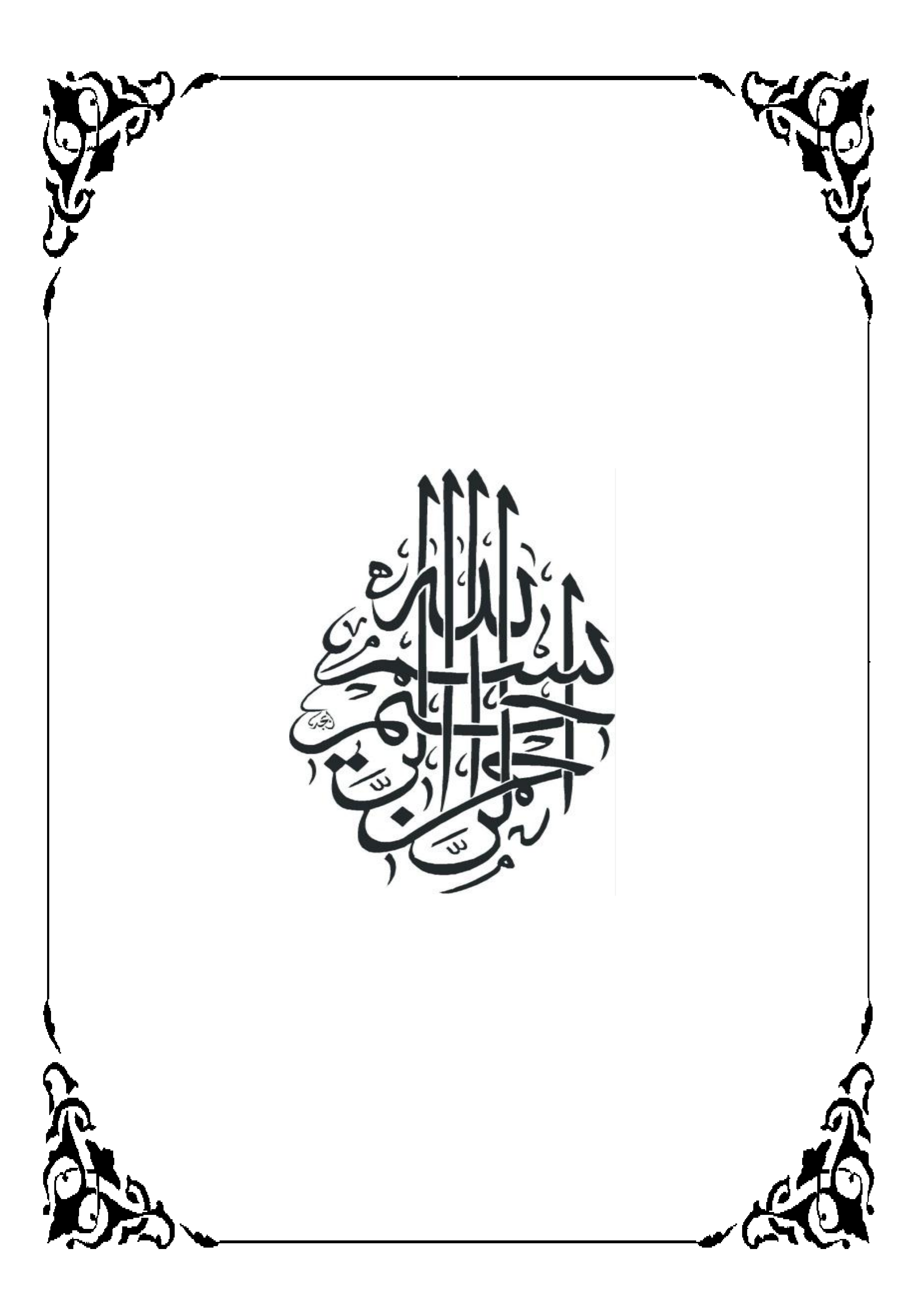
❊ قال شيخنا العالِم السَّلَفِي محمد بن مانع الآنسي –حفظه الله-:

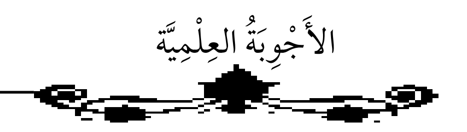
كتب الرُّدود العلمية فيها نصرٌ للحقِّ، ونصرٌ للسنَّة، ودمغٌ للباطلِ وأهلِه؛

قال الله تعالى: ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾ [الأنبياء:١٨].

والقراءة في كتب الرُّدود تزيد العبدَ ثباتاً على الحقِّ والسنَّة وطريق السَّلف ا.هـ.

"الفواكه الجَنِيَّة مِن الآثار السلفية" (ص:٢٨).


بسم الله الرحمن الرحيم



(مُقَدِّمَةُ المُؤَلِّفِ)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وما توفيقي إلا بالله العلي العظيم

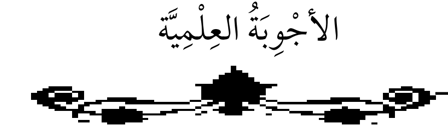
الحمد لله ربِّ العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله ﷺ، أمَّا بعدُ:

فهذه رسالةٌ مختصَرةٌ سهلَةٌ ميسَّرةٌ تضمَّنَت أجوبةً مفيدةً على شُبُهاتٍ خَلَفيَّةٍ احتَجَّ بِها بعضُ النَّاس على إيقاف نشر الكتب المتعلِّقة بالمنهجِ السَّلَفِي والنِّفاح عنه، والرَّدّ على أهل البدع والأهواء وأمراض القلوب.

-أصناف الطالبين لإيقاف كتب المنهج:

ولقد طلبَ ذلِكَ مِنِّي بعضُ النَّاس وهم على أصنافٍ؛ وأكثرها طلباً: مَن لم يتمكَّن مِنَ العلم ولم يربض في حلقات العلماء ويثبت، ومَن لم يُمارس الردود العلميَّة على أهل البدع والأهواء، ومَن عنده ضَعفٌ في المنهج، ومَن مسَّه مرضُ التمييع.

وطلبُهُم لا لعدم قدرةٍ ومكنَةٍ، ولا لإخطاءٍ حاصلة –وإن كنتُ لا أدَّعي العصمة والواجب هو النصح والتبيين–؛ وإنَّما لشبهاتٍ احتجُّوا بها، سيأتي ذكرها مع مناقشتها إن شاء الله تعالى.



-الجواب على طلبِ التَّاجِر:

واتَّصَلَ بِي أحدُ التُّجَّار مِمَّن أعرفه بحبِّ الخير -وفَّقه الله-، مدفوعاً مِن بعض الناس كما صرَّح لي بذلِكَ دون أن يُسمِّي، ودار بيني وبينه كلامٌ، -وعنده شيءٌ مِنَ الاطلاع على بعض أمور الدَّعوة-، وكان ممَّا دار أنْ طَلَبَ مِنِّي إيقاف نشر الكتب المنهجيَّة محتجَّاً ببعض الشبهات التي سيأتي نقاشها إن شاء الله، وكان مِن كلامِهِ أنْ قال: **لو أو قفتَ هذه الكتب؛ فجهِّز أرضاً وأنا أعاهدك على أن أبنيها لَكَ، وأجهز لك ما تحتاجه مِنَ الأثاث المنزلية، وسأكتب لَكَ ورقةً في ذلِكَ؛ شرْط أن تلبِّي طلبي !!!.**

فأجبتُه قائلاً: **لو قُلْتَ لي: أوقِفْ هذه الكُتُب وإلا سأقتُلُكَ ما أوقفتُها، فضلاً عن أن تبني لي بيتاً !.**

فسكتَ.

ونصحتُه بألا يجعل مثل هذه الإغراءات سبباً لتكتيم أفواه الدُّعاة عن الصدع بالحقِّ، والنِّفاح عن الدَّعوةِ السلفيَّة، والردّ على أهل البدع والأهواء، وسبباً لتمييعهم عنِ المنهَجِ السَّلفي، ومفتاحاً لانهماكهم في الدنيا، ونصائح أُخرى ما أُريدُ بها شهرةً ولا سُمْعَةً ولا رياءً ولا جاهاً ولا منصباً، وإنَّما نفعاً ينتفعُ بها، وسدَّاً لكلِّ مَن أراد أن يستميلنا بالمال، وتأييساً لكلِّ مَن طَمِعَ فينا الضَّعف والخَوَر أمام البدع والأهواء والمنكرات وأهلها، أسأل الله أن ينفعه بها.

- مالي أراكم عنها معرضين والله لأرمينَّ بها بين أظهركم:

وأقول لكلِّ مَن أراد مِنِّي التَّوقُّف عن نشر الكتُبِ المنهجيَّة التي تنكر المنكرات، وتذبُّ عن السنَّةِ وأهلِها؛ ما قالُه أبو هريرة رضي الله عنه نفاحاً عنِ السُّنَّةِ: **ما لي أراكم عنها معرضين والله لأرمينَّ بها بين أكتافكم**. رواه البخاري برقم (٢٤٦٣) ومسلم برقم (١٦٠٩).

-مِن فوائد وثمار خروج الرسائل والكتب المنهجيَّة:

ولقد رأيتُ صحوةً بعد خروج هذه الرسائل، واستيقاظاً؛ بعد أن حصل الفتور والركود مِن كثيرٍ مِنَ النَّاس.

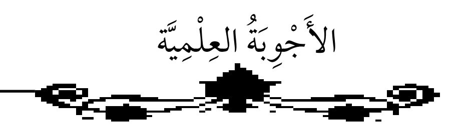
كما أنَّها أظهرت الصحيح والسَّقيم، والصاحب والعدوّ، والصادق والكاذب، والثابت والمهزوز، والُمحبّ والمبغض، والناصح والخائن، والكريم والحاسد، فمثل هذه الرسائل والمؤلفات تغربل الناس غربلةً بإذن الله تعالى، فسبحان مظهر السرائر، الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور. قال تعالى: **﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٠﴾﴾** [محمد:٢٩-٣٠].

* يُعزى إلى الصحابي الجليل ثالث أفضل هذه الأمة بعد نبيّها عثمان بن عفَّان رضي الله عنه : ما أسرَّ أحدٌ سريرةً إلا أظهرها الله على صفحاتِ وجهه، وفلتات لسانِهِ ا.هـ. ذكره ابن كثير في "تفسيره" (٤/ ٢٢٨)، وابن مفلح في "الآداب الشرعية" (ص:١٤٠).

قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ۝٥٥﴾ [الأنعام:٥٥].

* قال الإمام البغوي رحمه الله: معناه وكما فصلنا لك في هذه السورة دلائلنا وإعلامنا على المشركين كذلك نفصل الآيات، أي: نميِّز ونبين لك حجتنا في كل حق ينكره أهل الباطل، ولتستبين سبيل المجرمين؛ أي: طريق المجرمين، وقرأ أهل المدينة "ولتستبين" بالتاء، "سبيل" نصب على خطاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم، أي: ولتعرف يا محمد سبيل المجرمين، يقال: استبنت الشيء وتبينته إذا عرفته، وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر "وليستبين" بالياء "سبيل" بالرفع، وقرأ الآخرون (ولتستبين) بالتاء "سبيل" رفع، أي: ليظهر ويتضح السبيل ا.هـ. "معالم التنزيل" (٣/ ١٤٨-١٤٩).

* وقال الإمام ابن عطية رحمه الله: خصَّ سبيل المجرمين لأنَّهم الذين أثاروا ما تقدَّم مِنَ الأقوال وهم أهم في هذا الموضع لأنَّها آياتٌ ردٌّ عليهم، وأيضاً فتبيين سبيلهم يتضمَّن بيان سبيل المؤمنين ا.هـ. "المحرَّر الوجيز" (٢/ ٢٩٨).

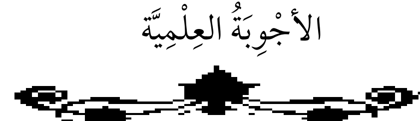


* وقال الإمام ابن القيم رحمه الله: الله تَعَالَى قد بَين فِي كِتَابه سَبِيل الْمُؤمنِينَ مفصّلة وسبيل الْمُجْرمين مفصّلة وعاقبة هَؤُلَاءِ مفصّلة وعاقبة هَؤُلَاءِ مفصّلة وأعمال هَؤُلَاءِ وأعمال هَؤُلَاءِ وأولياء هَؤُلَاءِ وأولياء هَؤُلَاءِ وخذلانه لهَؤُلَاء وتوفيقه لهَؤُلَاء والأسباب الَّتِي وفْق بهَا هَؤُلَاءِ والأسباب الَّتِي خذل بهَا هَؤُلَاءِ وجلا سُبْحَانَهُ الْأَمريْنِ فِي كِتَابه وكشفهما وأوضحهما وبيّنهما غَايَة الْبَيَان حَتَّى شاهدتهما البصائر كمشاهدة الْأَبْصَار للضياء والظلام.

فالعالِمون بِاللهِ وَكِتَابه وَدينه عرفُوا سَبِيل الْمُؤمنِينَ معرفَة تفصيلية وسبيل الْمُجْرمين معرفَة تفصيلية فاستبانت لَهُم السبيلان كَمَا يستبين للسالك الطَّرِيق الْموصل إِلَى مَقْصُوده وَالطَّرِيق الْموصل إِلَى الهلكة فَهَؤُلَاءِ أعلم الْخلق وأنفعهم للنَّاس وأنصحهم لَهُم وهم الأدلاء الهداة ا.هـ. "الفوائد" (ص:١٠٨).

-شكرٌ وثناءٌ وتقديرٌ لمشايخ العلم ورجال السنة في اليمن:

أمَّا مشايخ العلم ورجال السُّنَّة والهُدى بخصوص هذه البلاد اليمنيَّة فأنا شاكرٌ لهم على ما يقومون به مِنَ العلم والتعليم والدَّعوة إلى الله تعالى بعلمٍ وبصيرةٍ وحكمةٍ، ولا أحتقرُهُم ولا أهوِّن مِن شأنِهِم، بل أنا أحبهم في الله، وأعرِف لهم قدرَهُم، وأهابهم، وأحتقرُ نفسي بجانِبِهِم، والله أنَّني أهاب الولد الصغير إذا رأيتُه يقوم خطيباً بين الناس؛ فكيف بهؤلاء الأفاضل، وأنا أغبطهُم



على ما يقومون به مِن جُهدٍ في نشر العلم، ومَن جالسني عرَفَنِي، فمَن ضَعفَ مِنهم عن القيام بمثل هذه الرسائل المنهجيَّة، أو لم يتفرَّغ لها، بل شغل بغيرِها؛ فأرجو أن يكون عوناً وناصراً لنا فيما نقومُ به، وأن يحذر مِنَ الوشايات الكاذبة، والدَّعاوي الباطلة، فإنَّ مَا مِن شخصٍ يكتبُ في هذا الباب إلا وكثر أعداؤه مِنَ الدَّاخلِ فضلاً عن الخارج، مِن بين مريضٍ وحاسد، ورُمِيَ بالاتِّهامات، وطُعِنَ في عرضه ودينه، وشُوِّه، وليحمدِ اللهَ تعالى أن وجد غيرَه يقومُ عنه بهذا الواجب.

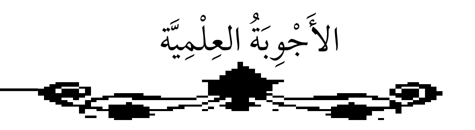
-كلٌّ يقوم بما فتح الله عليه، ويُزاول ما يُحسِن:

وكلُّنا يقومُ بما فتح الله عليه، ويُزاولُ ما يُحسِن، وينصر الدِّين بما يستطيع له.

* قال العلامة بكر أبو زيد ﷺ: **العلماء قُدُرات، وكُلٌّ يزاول ما يُحسِن، حسب قدرته، فهو على ثغر يحميه من أي عدوان عليه.**

فعالمٌ يردُّ على ملحد. وآخر على صاحب بدعة خفيفة. وثالث على صاحب فسوق. وآخر يرد على رأيٍ شاذ. كلُّ ذلك حسب القدرة والتأهيل ا.هـ. "الرّد على المخالف" (ص:٨٧).

مع أنَّني لست متفرِّغاً تفرُّغاً كامِلاً لهذا الباب –باب الردود العلميَّة؛ –وإن كان هو مِن أحسنها وأعظمها وأقواها وأشجعها وهو مِن أعظم الجهاد في



سبيل الله كما سيأتي-، بل لديَّ منهجٌ أسيرُ عليه في الكتابةِ والتأليف، وأكثر ما أكتبُ في العقيدة والتَّفسير وأصول وقواعد الفقه والتفسير، -ولله الحمدُ-، قلتُ هذا بياناً لكذِبِ المفتَرِين عليَّ خلاف ما ذكرتُ ليس إلاَّ.

وأيضاً: لنا بفضل الله ردودٌ على الرَّافضةِ، وكتبتُها هذه الأيام التي نعاني فيها مِنَ الرَّافضةِ، وردودٌ على أهل البدع والأهواء، فالذين يقولون خلافَ ذلِكَ كذبوا عليَّ؛ وهي كدندنة بعضِ أهلِ البدعِ وأمراض القلوب الذين كانوا يكذبون على شيخنا يحيى الحجوري حفظه الله تعالى ويقولون: إنَّه يردُّ على إخوانِهِ ويسكت عن الرَّافضة والصوفيَّة!!، كلُّ ذلِكَ مِن أجلِ تمرير بدعهم ومنهجهم المُمَيّع وتسريبها في أوساط المجتمعات، والله المستعان.

هذا وقد سمَّيتُ رسالتي: (**الأَجْوِبَةُ العِلْمِيَّة عَلَى مَنْ طَلَبَ إِيقَافَ نَشْرِ الكُتُبِ المَنْهَجِيَّة**).

وأعنِي بالكتب المنهجيَّة: كتب النِّفاح عن المنهجِ السَّلفي، والَّتي تُنكر المنكرات الدَّخيلة على الدَّعوة والدُّعاة، وكتُب الردود العلميَّة على أهل الشرك والإلحاد، وأهل البدع والضلال، وأهل التَّحزُّب والتمييع، وكتب الجرح والتعديل.

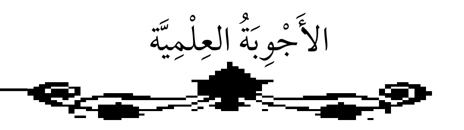
وأسأل الله جلَّ وعلا أن يجعلَ أعمالنا كلَّها خالصةً لوجهه الكريم، وأن يرزقنا الصدق والإخلاص والصبر والاحتساب، وبالله التوفيق، ولا حول ولا قوةَ إلا به، هو حسبي ونِعْمَ الوَكِيل.

وكتب

أبو عبد الرحمن معاذ بن أحمد بن فؤاد الزَّعيم

اليمن –إب– مركز الإمام الوادعي

❊ ❊ ❊ ❊ ❊



(الحَثُّ عَلَى الأَمْرِ بِالمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ المُنْكَرِ)

قال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران:١٠٤]، وقال تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الأعراف:١٩٩]، وقال تعالى: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾﴾ [الحجر:٩٤-٩٥]، وقال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾﴾ [الكهف:٢٩].

* وعن طارق بن شهاب رحمه الله قال: أول من بدأ بالخطبة يوم العيد قبل الصلاة: مروان، فقام إليه رجلٌ فقال: الصلاة قبل الخطبة، فقال قد ترك ما هنالك، فقال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: أما هذا فقد قضى ما عليه، سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «**مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ**». رواه مسلم برقم (٤٩).

فقوله (مَن) مِنَ الصِّيَغِ الدَّالةِ على العموم فيما دخلت عليه، وهي هنا دخلت على قوله (رأى)، فتشملُ عمومَ الحُكم في كلِّ راءٍ، ذكراً كان أو أنثى، جناً كانوا أو إنساً، كبيراً كان أو صغيراً بالغاً، عالماً كان أو جاهلاً.

* وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**مَا مِنْ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللهُ فِي أُمَّةٍ قَبْلِي إِلاَّ كَانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ حَوَارِيُّونَ وَأَصْحَابٌ يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِهِ، وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ، ثُمَّ إِنَّهَا تَخْلُفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ يَقُولُونَ مَا لاَ يَفْعَلُونَ، وَيَفْعَلُونَ مَا لاَ يُؤْمَرُونَ، فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ**». رواه مسلم برقم (٥٠).

* وعن النُّعمان بن بشير رضي الله عنه، عن النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا، وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنْ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا؛ فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيعًا**». رواه البخاري برقم (٢٤٩٣).

* وعن أبي بكر رضي الله عنه قال: يا أيها الناس، إنكم تقرؤون هذه الآية، وتضعونها على غير مواضعها: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾ [المائدة:١٠٥]، وإنا سمعنا النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «**إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوُا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ، أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللهُ بِعِقَابٍ**». أخرجه أبو داود برقم (٤٣٣٨)، والترمذي برقم (٢١٦٨)، وهو حديثٌ صحيحٌ.

* وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه، عن النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَأْمُرُنَّ بِالمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ المُنْكَرِ؛ أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَابًا مِنْهُ، ثُمَّ تَدْعُونَهُ فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ**». أخرجه الترمذي برقم (٢١٦٩)، وهو حديثٌ صحيحٌ بطرقه وشواهده، عدا قوله: «**ثُمَّ تَدْعُونَهُ فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ**». وراجع تحقيق شيخنا الفاضل أبي عمرو الحجوري حفظه الله لـ"رياض الصالحين" (ص:١٥٨).

* وعن زينب بنت جحش رضي الله عنها، أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم استيقظ من نومه وهو يقول «**لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ، فُتِحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذِهِ**». قلتُ: يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: «**نَعَمْ إِذَا كَثُرَ الخُبَثُ**». رواه البخاري برقم (٣٣٤٦) ومسلم برقم (٢٨٨٠).

*****

(إِجْمَاعُ العُلَمَاءِ عَلَى وُجُوبِ الأَمْرِ بِالمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ المُنْكَرِ)

* قال الإمام ابن حزم رحمه الله: اتَّفقت الأمَّةُ كلُّها على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بلا خلافٍ مِن أحدٍ منهم ا.هـ. "الفصل في الملل والأهواء والنحل" (٤/ ١٣٢).

* وقال العلامة الجصَّاص رحمه الله: أكَّد اللهُ تعالى فرض الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في مواضع من كتابه، وبينه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في أخبار متواترة عنه فيه وأجمع السلف وفقهاء الأمصار على وجوبه ا.هـ. "أحكام القرآن" للجصَّاص (٤/ ١٥٤).

* وقال الإمام ابن عبد البر رحمه الله: أجمع المسلمون على أنَّ تغيير المنكر واجبٌ على كلِّ مَن قدر عليه، وأنَّه إذا لم يلحقه بتغييره إلا اللَّوم الذي لا يتعدَّى إلى الأذى لا يجب أن يمنعه، فإن لم يقدر فبلسانه، فإن لم يقدر فبقلبه ليس عليه أكثر من ذلك، وإذا أنكر بقلبه فقد أدَّى ما عليه إذا لم يستطع سوى ذلك ا.هـ. نقلاً من "الكنز الأكبر" (ص:١١٩) للدمشقي.

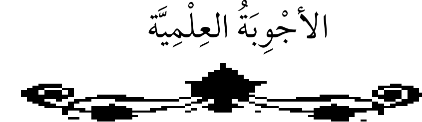
* وقال العلامة الجويني رحمه الله: والدليل عليه إجماع المسلمين بأنَّ غيرَ الولاة في الصدر الأول كانوا يأمرون الولاة وينهونهم مع تقرير المسلمين إيَّاهُم على ذلِكَ، وترك توبيخهم على التشاغل بذلك بغير ولاية ا.هـ. نقلاً من "تنبيه الغافلين" لابن النحاس (ص:٢١).

* وقال الإمام النووي رحمه الله: وقد تطابق على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: الكتاب والسنة وإجماع الأمَّة، وهي أيضاً من النصيحة التي هي من الدِّين ا.هـ. "شرح صحيح مسلم" (٢/ ٢٢).

* وقال العلامة ابن النحاس رحمه الله: ... وأنَّه واجبٌ –يعني الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر– على كلِّ مسلمٍ استطاع؛ سواء كان رجلاً، أو امرأةً، أو عبداً؛ كما عليه إجماع الأمَّة ا.هـ. "تنبيه الغافلين عن أعمال الجاهلين" (ص:١٨).

* وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: فيجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بحسب إظهار السنة والشريعة، والنهي عن البدعة والضلالة بحسب الإمكان، كما دلَّ على وجوب ذلك الكتاب والسنة وإجماع الأمَّة ا.هـ. "الاستقامة" (١/ ٤١).

* * * * *



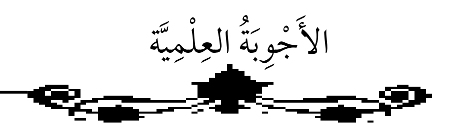
(الأَمْرُ بِالمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ المُنْكَرِ أَصْلٌ مِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ)

* قال العلامة ابن العربي رحمه الله: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أصلٌ في الدِّين، وعمدةٌ مِن عمد المسلمين، وهو فرضٌ على جميع الناس مثنى وفرادى بشرط القدرة عليه ا.هـ. "عارضة الأحوذي بشرح سنن الترمذي" (٢/ ١٢).

* وقال الإمام الشوكاني رحمه الله: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجوبه ثابت بالكتاب والسنة، وهو مِن أعظم واجبات الشريعة المطهرة، **وأصل عظيم من أصولها، وركن مشيد من أركانها، وبه يكمل نظامها ويرتفع سنامها** ا.هـ. "فتح القدير" (١/ ٤٢٣).

* وقال العلامة ابن الجعدي رحمه الله: اعلم أنَّ الأمرَ بالمعروف والنَّهي عن المنكر **أصلُ الدِّين**؛ لأنَّه شغل الأنبياء، وقد خلفهم خلفاؤهم، ولولاهُ شاع العلم وبطل العلم ا.هـ. نقلاً مِن "الكنز الأكبر في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر" للصالحي الدمشقي (ص:١٩١).

* * * * *



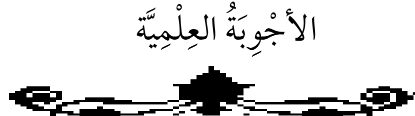
(أَهَمِّيَّةُ الأَمْرِ بِالمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ المُنْكَرِ)

* قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: وإذا كان الأمر والنهي من لوازم وجود بني آدم: فمن لم يأمر بالمعروف الذي أمر الله به ورسوله وينه عن المنكر الذي نهى الله عنه ورسوله؛ ويُؤمر بالمعروف الذي أمر الله به ورسوله ويُنه عن المنكر الذي نهى الله عنه ورسوله؛ وإلا فلا بد أن يأمر وينهى. ويُؤمر ويُنهى: إَّما بما يضاد ذلك؛ وإما بما يشترك فيه الحق الذي أنزل الله بالباطل الذي لم ينزله الله. وإذا اتُّخِذَ ذلك ديناً كان ديناً مبتدعاً ا.هـ. "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر" (ص:٧٢).

* وقال رحمه الله: الاهتداء إنما يتمُّ بأداء الواجب، فإذا قام المسلم بما يجب عليه مِنَ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما قام بغيره مِنَ الواجب لم يضرّه ضلال الضلال ا.هـ. "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر" (ص:٣٩).

* وقال العلامة أبو السعود رحمه الله: ولا يتوهمنَّ فيه رخصة في ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من استطاعهما، كيف لا؛ ومن جملة الاهتداء أن ينكر على المنكر حسبما تفي له الطاقة ا.هـ. "إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم" (٢/ ٥٩٢).

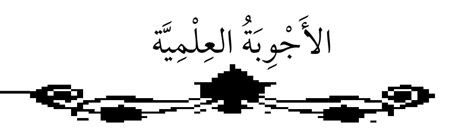
* وقال الإمام الشوكاني رحمه الله: أمَّا إذا كان هذان الركنان العظيمان –يعني الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر- غيرَ قائمين، أو كان قائمين قياماً صُوْرِيَّاً لا



حقيقيًّاً فيالَكَ مِن بدعٍ تظهرُ، ومِن منكراتٍ تُسْتَعلَن، ومِن معروفاتٍ تُسْتَخفى، ومِن جولاتٍ للعصاةِ وأهل البدع تقوى وترتفع، ومِن ظلماتٍ بعضُها فوقَ بعضٍ تظهرُ في الناس، ومِن هَرْجٍ ومَرْجٍ في العباد يبرز للعيان، وتقرُّ به عينُ الشيطان؛ وعند ذلك يكون المؤمن كالشاة العائرة، والعاصي كالذئب المفترس، وهذا بلا شكٍّ ولا ريبٍ هو المُحيي رسومَ الدِّين، وذهاب نور الهُدى، وانطماس معالِمِ الحقِّ.

وعلى تقدير وجود أفراد مِنَ العباد يقومون بفرائض الله، ويَدَعونَ مناهيه، ولا يقدرون على أمرٍ بمعروفٍ، ولا نهيٍ عن منكرٍ؛ فما أقلّ النفع بهم، وأحقر الفائدة العائدة على الدِّين منهم؛ فإنَّهم وإن كانوا ناجين بأعمالهم، فائزين بتمسُّكهم بِعُرْوَةِ الحقِّ الوثقى، لكنهم في زمان غربةِ الدِّين، وانطماس معالِمِهِ، وظهور المنكر، وذهاب المعروف بين أهل السواد الأعظم، وفيما يتظاهر به الناسُ؛ وحينئذٍ يصير المعروف منكراً، والمنكر معروفاً، ويعود الدِّين غريباً كما بدأ ا.هـ. "الفتح الرباني من فتاوى الشوكاني" (١١/ ٥٥٧٧-٥٥٧٨).

❋ وقال العلامة الشيخ أحمد النجمي ﵀: إنَّ الأمرَ بالمعروف والنَّهي عنِ المنكر واجبٌ حتميٌّ على الأمَّةِ جمْعَاء، لا يجوز لأحدٍ تركُ ما يقدر عليه مِنْه، وإن ترك شيئاً يقدر عليه، ناله مِن جرَّاء ذلِكَ مِنَ الإثمِ ما نالَه لا محالَة ا.هـ. "الدُّرر النجمية في ردِّ بعض الشبهات العقدية والمنهجية" (ص:٣١).



* وقال العلامة صالح الفوزان –حفظه الله-: لا صلاح للبشرية إلا بقيام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأنَّ طبيعة الاجتماع البشري أنَّ الإنسان لا يعيش وحده، وحتَّى لو عاش وحده فإنَّه يجب عليه أن يأمر نفسه بالمعروف، وينهاها عن المنكر، ولكن المجتمعات البشرية يتأكَّد ذلك ويتعاظم وجوبه؛ لأنَّ من طبيعة البشر –إلا من رحم الله- العدوان والظلم بحكم النفوس الأمارة بالسوء، وبحكم وجود شياطين الإنس والجنّ الذين يزينون للناس القبائح، ويثبطونهم عن الطاعات، وبحكم وجود المغريات مِنَ الشهوات المحرَّمة في كلِّ وقتٍ بحسبه، فإنَّ المجتمعات البشرية توجد فيها المغريات للوقوع في المحرمات من النساء والمآكل والمشارب والمكاسب، فهناك مغريات فاتنة تغري كثيراً من الناس لمقارفة المُنكر وتثبيط كثيراً مِنَ الناس عن أداء الواجبات والمستحبات.

وبحكم أنَّ هذا مِن لازم البشر اقتضت حكمة الله سبحانه وتعالى أن شرع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى يستقيم شأن الأمة، وحتَّى تقاوم هذه الأمراض ...

فأمراض الشهوات والشبهات تصيب القلوب حتى تمرض أو حتى تموت؛ إذاً لا بدَّ مِن مقاومة هذه الأمراض؛ وذلك بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ...

إذاً؛ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو صمام الأمان لهذه الأمَّةِ، متى تحقَّق ووجد فإنَّ هذا علامةً على نجاتها وسلامتها، ومتى عدم هذا الجانب – ولا حول ولا قوة إلا بالله– أو ضعف؛ فإنَّ هذا علامة على هلاك الأمَّة ا.هـ.

"محاضرات في العقيدة والدَّعوة" (٢/ ٣٠٣-٣٠٤).

* * * * *

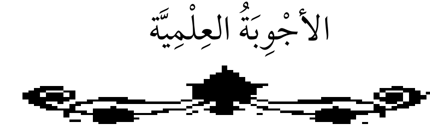
(القِيَامُ بِوَاجِبِ الذَّبِّ عَنِ السنَّةِ وَالمَنْهَجِ السَّلَفِي وَرَدِّ البَاطِلِ وَكَشْفِ زَيفِهِ)

* قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: فالمرصَدون للعلم عليهم للأمة حفظ علمِ الدِّين وتبليغه؛ فإذا لم يبلغوهم علمَ الدِّين أو ضيعوا حفظَه كان ذلك من أعظم الظلم للمسلمين؛ ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ١٥٩﴾ [البقرة:١٥٩-١٦٠].

فإن ضرر كتمانهم تعدى إلى البهائم وغيرها فلعنهم اللاعنون حتى البهائم ا.هـ. "مجموع الفتاوى" (٢٨/ ١٨٧).

* وقال الإمام ابنُ باز رحمه الله: فالواجب على أهل العلم أن ينشطوا وأن لا يكون أهل الباطل أنشط منهم. بل يجب أن يكونوا أنشط مِن أهل الباطل في إظهار الحق والدَّعوة إليه أينما كانوا...

فلا يجوز لأهل العلم السكوت وترك الكلام للفاجر والمبتدع والجاهل؛ فإن هذا غلطٌ عظيمٌ، ومن أسباب انتشار الشر والبدع واختفاء الخير وقلته وخفاء السنة.



فالواجب على أهل العلم أن يتكلَّموا بالحق ويدعوا إليه وأن ينكروا الباطل ويحذروا منه، ويجب أن يكون ذلك عن علم وبصيرة ا.هـ. "مجموع فتاوى ومقالات" (٦/ ٥٣).

* وقال الإمام ابن عثيمين رحمه الله: إنَّه يجب على أهل العلم أن يُبيِّنوا للناس ما خالفوا به السُّنَّة لقوله: «**لم يخطب كخطبتكم هذه**»؛ لأنَّه إذا لم يُبيِّن أهل العلم ما خالف فيه الناس السنة بقيت السنة مجهولة، ثمَّ توسَّع الأمر حتى تزول سُننٌ كثيرة بسبب سكوت النَّاس.

لكن ها هنا مسألة؛ وهو: أنَّ بعضَ النَّاس يُخذِّل أهلَ العلم في بيان الحقِّ؛ فيقول مثلاً: لماذا تُبيِّن هذا للنَّاس لأنَّ الناس لا يستفيدون وما أشبه ذلِكَ !. وهذا حرامٌ، ولا يجوز لأحدٍ أن يقولَ هذا الكلام؛ لأنَّ هذا هو التَّخذيل عن الحقِّ، والعلماء إذا بيَّنوا الحقّ لو لم يكن مِن ذلِكَ إلا أنَّ الناس يعرفون أنَّهم على باطلٍ، سواء انتفع أو لم ينتفع، هذا أعظم منفعة؛ لأنَّ العلماء إذا سكتوا عمَّا كان عليه النَّاس مِن مخالفة الحقّ ظنَّ النَّاس أنَّ هذا صوابٌ، وأنَّه الحقُّ، فيستمرون عليه، ويستمرئونه، ولكنَّهم إذا رأوا الإنكار عرفوا أنَّهم ليسوا على حقٍّ، ولو لم يكن مِن ذلِكَ إلا هذه الفائدة لكان كافياً، فلا تستهن ببيان الحقِّ أبداً ا.هـ. "فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام" (٥/ ٢٣٩).

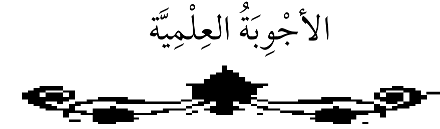
* * * *

﴿الكِتَابةُ فِي المَنْهَجِ وَالرُّدُودُ العِلْمِيَّةُ مِنَ الأَمْرِ بِالمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ المُنْكَرِ وَالصَّدْعِ بِالحَقِّ وَالنُّصْحَةِ﴾

* قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: والأمرُ بالسُّنَّة والنَّهي عن البدعة هو أمرٌ بمعروف ونهيٌ عن منكر، وهو من أفضل الأعمال الصالحة، فيجب أن يبتغي به وجه الله، وأن يكون مطابقاً للأمر ا.هـ. "منهاج السنة النبويَّة" (٥/ ٢٥٣).

* وقال الحافظ ابن رجبٍ رحمه الله: ومن أنواع النصح لله تعالى وكتابه ورسوله ....: ردُّ الأهواء المضلة بالكتاب والسنة، وبيان دلالتهما على ما يخالف الأهواء كلها وكذلك رد الأقوال الضعيفة من زلات العلماء، وبيان دلالة الكتاب والسنة على ردها، ومن ذلك بيان ما صح من حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وما لم يصح منه بتبيين حال رواته ومن تقبل رواياته منهم ومن لا تقبل، وبيان غلط من غلط من ثقاتهم الذين تقبل روايتهم ا.هـ. "جامع العلوم والحِكَمِ" (ص:٢٢٣-٢٢٤).

* وقال الإمام الشوكاني رحمه الله: فإنَّه ما زال سلف هذه الأمَّة وخلفها يجرِّحون مَن يستحقُّ الجرح مِن رواة الشريعة، ومِنَ الشهود على دماء العباد وأموالهم وأعراضهم، ويُعدِّلون مَن يستحقّ التعديل، ولو لا هذا لتلاعب بالسنَّة المطهَّرةِ الكذابون، واختلط المعروفُ بالمُنْكَرِ، ولم يتبيَّن ما هو صحيحٌ ممَّا



هو باطلٌ، وما هو ثابتٌ ممَّا هو موضوعٌ، وما هو قويٌّ ممَّا هو ضعيفٌ للقطع بأنَّه ما زال الكذَّابون يكذبون على رسول الله ﷺ ا.هـ. "الفتح الرباني" (١١/ ٥٥٨٣).

* وقال الإمام ابنُ باز رحمه الله: فالواجب على أهل العلم أن ينشطوا وأن لا يكون أهل الباطل أنشط منهم. بل يجب أن يكونوا أنشط مِن أهل الباطل في إظهار الحق والدَّعوة إليه أينما كانوا...

فلا يجوز لأهل العلم السكوت وترك الكلام للفاجر والمبتدع والجاهل؛ فإن هذا غلطٌ عظيمٌ، ومن أسباب انتشار الشر والبدع واختفاء الخير وقلته وخفاء السنة.

فالواجب على أهل العلم أن يتكلَّموا بالحق ويدعوا إليه وأن ينكروا الباطل ويحذروا منه، ويجب أن يكون ذلك عن علم وبصيرة ا.هـ. "مجموع فتاوى ومقالات" (٦/ ٥٣).

* وقال العلامة الشيخ أحمد النجمي رحمه الله: ومِن هذه الأدلة مِنَ الكتاب والسنَّة وإجماع الأمة على وجوب الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر: نأخذُ وجوب الرُّدود.

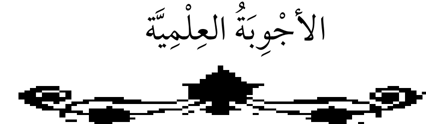
والردود لا تكون إلا على أخطاءٍ؛ فهل يجوز لنا أن نسكت على الخطأ ولا ننكره؟

الجواب: لا، إنَّ الذين ينكرون الردود إنَّما يريدون أن يفشو المنكر، فلا يُنكر حتَّى يستفحل الباطلُ وأهلُه، ويضعف الحقُّ وأهلُهُ، فإذا خَلَتِ الأرضُ مِن آمرٍ بمعروفٍ، وناهٍ عن منكرٍ -استحقَّ أهلُها اللعنةَ، كما لُعِنَ بنو إسرائيل؛ قال تعالى: ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ۝٧٨ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ۝٧٩﴾ [المائدة:٧٨-٧٩].

... والخلاصة: أنَّ مَن أنكر الرُّدود فقد أنكر الأمرَ بالمعروف والنَّهي عن المنكر، ومَن أنكر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقد أضاع اثنتين مِن تلك القواعد.

ومَن ضاعت منه اثنتان فقد ضاعت مِنه الثالثة، وهي الإيمان بالله؛ لأنَّ الإيمانَ بالله هو الباعث على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبفقدهما يُفقد؛ قال تعالى: ﴿فَلَوۡلَا كَانَ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مِن قَبۡلِكُمۡ أُوْلُواْ بَقِيَّةٖ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡفَسَادِ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّنۡ أَنجَيۡنَا مِنۡهُمۡۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتۡرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجۡرِمِينَ ۝١١٦﴾ [هود:١١٦] ا.هـ. "الدُّرر النجمية في ردِّ بعض الشبهات العقدية والمنهجية" (ص:٣٢-٣٣).

* وقال ﷺ: باستقراء أحوالِ الناس وُجِدَ أنَّ هناك أقواماً ينتمون إلى المنهج السَّلفي حسب زعمهم، ولكنَّهم يكرهون الردود، ويرون أنَّها سببٌ في



التفرُّق ونشر الضغائن بين الناس، وبثِّ العداوات، وغرس بذور الفُرقة !!؛ وهذا يدلُّ على قِلَّة التعمُّق فيما يترتَّب على كلٍّ مِنَ الأمرين؛ الردّ وتركه، مِن نتائج حسنة أو سيئة، حلوةً أو مرَّةً.

والحقيقة أنَّ الردَّ على المخالِف يُعتبر إنكاراً لمنكرٍ فشا، وردَّاً لباطلٍ رُوِّجَ ا.هـ. "الدُّرر النجمية في ردِّ بعض الشبهات العقدية والمنهجية" (ص:٢٩).

* وقال شيخنا العلامة يحيى الحجوري –حفظه الله-: جانبُ الجرح والتعديل مِن جانبِ الدَّلالات على الخيرِ وأهلِهِ، والتَّحْذِير مِنَ الشَّرِّ وأهلِهِ ا.هـ. "المجموع الثمين مِن أقوال الناصح الأمين" (ص:٥٥).

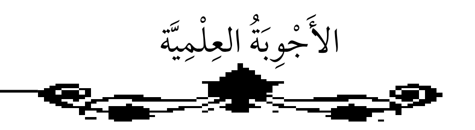
* وقال–حفظه الله-: الجرح والتعديل عينُ المنهج السَّلفي ا.هـ.

* وقال –حفظه الله-: الجرح والتعديل عين التصفية والتربية ا.هـ.

* وقال –حفظه الله-: أنا مع الجرح والتَّعديل حتى أوسد في قبري، فوالله لو أنَّ عبد الرحمن ولدي خالَفَ لجرحتُهُ ا.هـ. انظر في هذا والذي قبله: "المجموع الثمين مِن أقوال الناصح الأمين" (ص:٥٣).

* وقال شيخنا العالِم السَّلَفِي محمد بن مانع الآنسي –حفظه الله-: كتب الردود العلمية فيها نصرٌ للحقِّ، ونصرٌ للسنَّة، ودمغٌ للباطلِ وأهلِه؛ قال الله تعالى: ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌۚ ﴾ [الأنبياء:١٨].

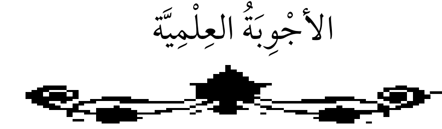
والقراءة في كتب الردود تزيد العبدَ ثباتاً على الحقِّ والسنَّة وطريق السَّلف.



لَمَّا خرج بعض كتب الردود لشيخ الإسلام فَرِحَ بذلِكَ، وقال: (وخروج الكتب كان مِن أعظم النِّعم؛ فإنِّي كنتُ حريصاً على خروجِ شيءٍ منها -يعني الردود-، فمَن كان قصْدُه الحقّ هداه الله، ومَن كان قصدُهُ الباطل قامت عليه حُجَّةُ الله، واستحقَّ أن يذلَّه الله ويخزيه) ... ا.هـ. "الفواكه الجَنِيَّة مِن الآثار السلفية" (ص:٢٨-٢٩).

❊ وقال شيخنا العالم الوقور أبو عبد الرحمن جميل الصلوي -حفظه الله- في مقدِّمته لكتابي براءة السلف والسلفيَّة-: **هذه الرَّدُّ وغيره مِنَ الردود على أهل الباطل يُعتبر مِنَ النصح وإنكار المنكر، ولا يخفى ما يترتَّب على ذلك مِنَ النجاة والسلامة في الدنيا والآخرة، كما دلَّت على ذلك الأدلة مِنَ الكتاب والسنَّة، والواقع شاهدٌ بذلِكَ**، نسأل الله لنا ولسائر المسلمين الهدى والسداد، والتوفيق والرشاد ا.هـ. "براءة السلف والسلفيَّة من انحرافات حزب الرشاد وقراراته البدعيَّة" (٢١).

❊ ❊ ❊ ❊ ❊



﴿الكِتَابَةُ فِي المَنْهَجِ وَالرُّدُودِ العِلْمِيَّةِ مِنْ أَعْظَمِ الجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللّه تَعَالَى﴾

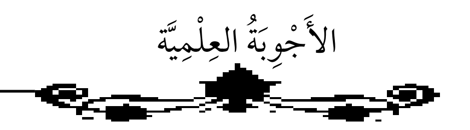
* قال الإمام محمد بن يحيى الذُّهلي رحمه الله: سمعت يحيى بن معين رحمه الله يقول: **الذَّبُّ عن السنَّة أفضل من الجهاد في سبيل الله.**

فقلت ليحيى: الرجل ينفق ماله، ويتعب نفسه، ويجاهد، فهذا أفضل منه؟! قال: نعم، بكثير ا.هـ. نقلاً مِن "سير أعلام النبلاء" (١٠/ ٥١٨).

* وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: قال بعضهم لأحمد ابن حنبل: إنه يثقل عليَّ أن أقول فلان كذا وفلان كذا، فقال: إذا سكتَّ أنتَ وسكتُّ أنا فمتى يعرف الجاهلُ الصحيحَ من السقيم ؟!.

ومثل أئمة البدع من أهل المقالات المخالفة للكتاب والسنة أو العبادات المخالفة للكتاب والسنة؛ فان بيان حالهم وتحذير الأمة منهم واجبٌ باتفاق المسلمين حتى قيل لأحمد بن حنبل: الرجل يصوم ويصلي ويعتكف أحب اليك أو يتكلم في أهل البدع ؟ فقال: إذا قام وصلى واعتكف فإنما هو لنفسه، واذا تكلم في أهل البدع فإنما هو للمسلمين، هذا أفضل.

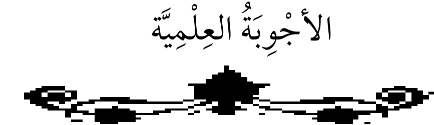
فبيَّنَ أنَّ نفع هذا عام للمسلمين في دينهم **من جنس الجهاد في سبيل الله**؛ إذ تطهير سبيل الله ودينه ومنهاجه وشرعته ودفع بغي هؤلاء وعدوانهم على ذلك واجبٌ على الكفاية باتفاق المسلمين، ولولا من يقيمه الله لدفع ضرر هؤلاء لفسد الدِّين، وكان فسادُه أعظم من فساد استيلاء العدو من أهل الحرب؛ فإنَّ



هؤلاء اذا استولوا لم يفسدوا القلوب وما فيها من الدِّين إلا تبعاً، وأما أولئك فهم يفسدون القلوب ابتداء ا.هـ "مجموع الفتاوى" (٢٨/ ٢٣١-٢٣٢).

* وقال رحمه الله -في ذمِّ أهل البدع والأهواء وفضل مَن يذبُّ عن السنَّة ويقوم بالردود العلميَّة-: الردود على المعتزلة والقدرية وبيان تناقضهم فيها قهر المُخالِف، وإظهار فساد قوله **هي مِن جنس المجاهد المنتصر، فالرَّاد على أهل البدع مجاهد،** حتَّى كان يحيى بن يحيى يقول: **الذَّبُّ عن السُّنَّةِ أفضل مِنَ الجهاد** ا.هـ. "نقض المنطق" (ص:١٢).

* وقال الإمام ابن القيم رحمه الله: فكشف عوْرات هؤلاء وبيان فضائحهم وفساد قواعدهم **من أفضل الجهاد في سبيل الله،** وقد قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت: «**إن روح القدس معك ما دمت تنافح عن رسوله**»، وقال: «**أهجهم أو هاجهم وجبريل معك**»، وقال: «**اللهم أيده بروح القدس ما دام ينافح عن رسولك**»، وقال عن هجائه لهم: «**والذي نفسي بيده لهو أشد فيهم من النبل**»، وكيف لا يكون بيان ذلك **من الجهاد في سبيل الله** وأكثر هذه التأويلات المخالفة للسلف الصالح من الصحابة والتابعين وأهل الحديث قاطبة وأئمه الإسلام الذين لهم في الأمة لسان صدق يتضمَّن من عَبَث المتكلّم بالنصوص وسوء الظن بها من جنس ما تضمَّنه طعن الذين يلمزون الرسول ودينه وأهل النفاق والإلحاد لما فيه من دعوى أن ظاهر كلامه إفكٌ ومحالٌ وكفرٌ وضلالٌ وتشبيهٌ وتمثيلٌ أو تخييلٌ، ثم صرفها إلى معانٍ يعلم أنَّ إرادتها بتلك الألفاظ من نوع



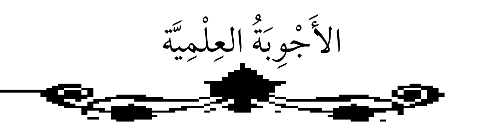
الأحاجي والألغاز لا يصدر ممن قصده نصحٌ وبيانٌ؛ **فالمدافعة عن كلام الله ورسوله والذب عنه من أفضل الأعمال وأحبها إلى الله وأنفعها للعبد** ا.هـ. "الصواعق المرسلة" (١/ ٣٠١-٣٠٢).

* وقال رحمه الله: **فجهاد المنافقين أصعبُ مِنْ جهاد الكفار، وهو جهادُ خواصِّ الأمَّة، وورثة الرُّسُل**، والقائمون به أفرادٌ في العالَم، والمشاركون فيه والمُعاونون عليه -وإن كانوا همُ الأقلين عدداً- فهم الأعظمون عند الله قدراً ا.هـ. "زاد المعاد" (٣/ ٥).

* وقال رحمه الله -في وصف أهل السنَّة وجهادِهِم-: فكم مِن قتِيلٍ لإبليس قد أحيَوه، ومِن ضالٍ جاهلٍ لا يعلم طريق رشدَه قد هَدوه، ومِن مبتدعٍ في دين الله بشُهُبِ الحقِّ قد رَموه، **جهاداً في سبيل الله**، وابتغاء مرضاتِهِ ا.هـ. "مفتاح دار السعادة" (١/ ٢).

* وقال رحمه الله: ومن بعض حقوق الله على عبده: ردُّ الطَّاعنين على كتابه ورسوله ودينه، **ومجاهدتهم بالحُجَّة والبيان**، والسيف والسنان، والقلب والجنان، وليس وراء ذلك حبة خردل من الإيمان ا.هـ. "هداية الحيارى" (ص:٢٣٢).

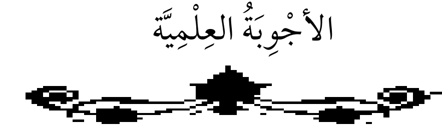
* وقال العلامة أحمد النجمي رحمه الله: والله جلَّ شأنه هو الذي يختار لها – يعني الدَّعوةَ السلفية- مِن عِبادِهِ، يُكرمهم بالمنافحةِ عنها، والرَّدِّ على مَن



خالَفَها، ويُلهمهم بيانَ محاسِنها، والذَّود عن حِياضِهَا، **والمُجاهدة في سبيلها؛ تعلُّماً، وتعليماً، وعملاً ودعوةً.**

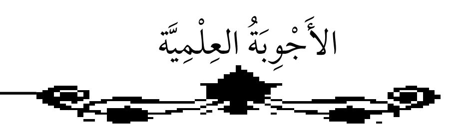
وهم مع كونهم يخدمونها بألسنتهم، وأعمالهم، وأنفسهم، وأموالهم، لا يرونَ لأنفسهِم مِنَّةً؛ بل لله المِنَّةُ عليهم أنْ هداهم لذلِكَ ا.هـ. "الدُّرر النجمية في ردِّ بعض الشبهات العقدية والمنهجية" (ص:٣٢٣).

*****



(أَهَمِّيَّةُ الإِقْدَامِ عَلَى الكِتَابَةِ فِي المَنْهَجِ وَالشَّجَاعَةُ فِي إِبْطَالِ البِدَعِ وَالأَهْوَاءِ وَتَرْكُ المُبَالَاةِ بِالمُخَذِّلِين)

* قال الإمام عبد العزيز ابن باز رحمه الله: طالب العلم بعد ذلك حريصٌ جداً أن لا يكتم شيئاً مما علِم، **حريصٌ على بيان الحقِّ والرَّد على الخصوم لدين الإسلام، لا يتساهل ولا ينزوي، فهو بارزٌ في الميدان دائماً حسب طاقته، فإن ظهر خصوم للإسلام يشبهون ويطعنون -برز للرَّدِّ عليهم كتابة ومشافهة وغير ذلك**، لا يتساهل ولا يقول هذه لها غيري، بل يقول: أنا لها. . أنا لها. .، ولو كان هناك أئمة آخرون يخشى أن تفوت المسألة، **فهو بارزٌ دائماً لا ينزوي، بل يبرز في الوقت المناسب لنصر الحق، والرَّد على خصوم الإسلام بالكتابة وغيرها**. . من طريق الإذاعة، أو من طريق الصحافة، ... أو من أيِّ طريق يمكنه، **وهو أيضاً لا يكتُم ما عنده من العلم، بل يكتب ويخطب، ويتكلم ويرد على أهل البدع، وعلى غيرهم من خصوم الإسلام بما أعطاه الله من قوة، حسب علمه وما يسر الله له من أنواع الاستطاعة**. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾﴾[البقرة:١٥٩-١٦٠].

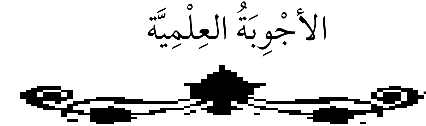


فينبغي أن نقف عند هاتين الآيتين وقفة عظيمة: فربنا حذَّر من كتمان العلم وتوعد على ذلك، ولعن من فعل ذلك، ثم بين الله أن لا سلامة من هذا الوعيد، وهذا اللعن إلا بالتوبة والإصلاح والبيان ا.هـ. "مجموع فتاوى ومقالات" (٧/ ٢١٩-٢٢٠).

* وقال رحمه الله: ومن الواجب على علماء الحق، الذين وفقهم الله سبحانه وتعالى للعلم بكتابه وسنة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وبصرهم بالحق، حتى عرفوا طريق النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وطريق أصحابه وعرفوا أنَّ النصر إنما يكون بالتمسك بدين الله والعضِّ عليه بالنواجذ، ودعوا إلى ذلك وعرفوا سنة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وتمسكوا بالشرع الحنيف، ودانوا بما جاء به النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم **أن ينشروا الدعوة الإسلامية ويقوموا بتنقية العقيدة من البدع والضلالات والانحرافات.**

هؤلاء هم العلماء الذين تعلق عليهم الآمال، وتجب عليهم دعوة الناس إلى الحق، وهؤلاء يلزمهم أن يصبروا على الأذى وأن يبشروا الناس بدين الله، ويوضحوا لهم سبيل الحق، ويشرحوا لهم حقيقة الإسلام الذي بعث الله به النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم، **حتى يزول الجهل وينقشع اللبس، ويتضح الحق لطالب الحق، الرجوع إلى الحق والصواب.**

وحتى يعلم أهل البدع والخرافات، من الصوفية وغيرهم ما هم عليه من الباطل فيرجعوا إلى الصواب ويأخذوا بالحق؛ لأن الكثير منهم قد التبس عليه



الحق، فلو عرف الحق لأخذ به، وسار على طريقه ا.هـ. "مجموع فتاوى ومقالات" (٣/ ١٣٤-١٣٥).

* وقال رحمه الله: فالواجب على علماء المسلمين: **توضيح الحقيقة ومناقشة كلِّ جماعة أو جمعية، ونصح الجميع بأن يسيروا في الخط الَّذي رسمه الله لعباده ودعا إليه نبيُّنا محمد** صلى الله عليه وآله وسلم، ومن تجاوز هذا أو استمر في عناده لمصالح شخصية أو لمقاصد لا يعلمها إلا الله- **فإن الواجب التشهير به والتحذير منه ممن عرف الحقيقة، حتى يتجنب الناس طريقهم وحتى لا يدخل معهم من لا يعرف حقيقة أمرهم فيضلوه ويصرفوه عن الطريق المستقيم الذي أمرنا الله باتباعه في** قوله جل وعلا: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٥٣﴾ [الأنعام:١٥٣] ا.هـ. "مجموع فتاوى ومقالات" (٥/ ٢٠٣).

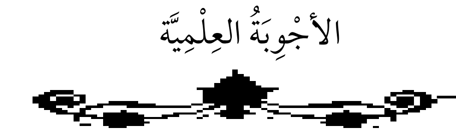
* وقال الإمام ابن عثيمين رحمه الله: إنَّه يجب على أهل العلم أن يُبيِّنوا للناس ما خالفوا به السُّنَّة لقوله: «**لم يخطب كخطبتكم هذه**»؛ لأنَّه إذا لم يُبيِّن أهل العلم ما خالف فيه الناس السنة بقيت السنة مجهولة، ثمَّ توسَّع الأمر حتى تزول سُننٌ كثيرة بسبب سكوت النَّاس.

لكن ها هنا مسألة؛ وهو: أنَّ بعضَ النَّاس يُخذِّل أهلَ العلم في بيان الحقِّ؛ فيقول مثلاً: لماذا تُبيِّن هذا للنَّاس لأنَّ الناس لا يستفيدون وما أشبه ذلِكَ !.

وهذا حرامٌ، ولا يجوز لأحدٍ أن يقولَ هذا الكلام؛ لأنَّ هذا هو التَّخذيل عن الحقِّ، والعلماء إذا بيَّنوا الحقّ لو لم يكن مِن ذلِكَ إلا أنَّ الناس يعرفون أنَّهم على باطلٍ، سواء انتفع أو لم ينتفع، هذا أعظم منفعة؛ لأنَّ العلماء إذا سكتوا عمَّا كان عليه النَّاس مِن مخالفة الحقّ ظنَّ النَّاس أنَّ هذا صوابٌ، وأنَّه الحقُّ، فيستمرون عليه، ويستمرئونه، ولكنَّهم إذا رأوا الإنكار عرفوا أنَّهم ليسوا على حقٍّ، ولو لم يكن مِن ذلِكَ إلا هذه الفائدة لكان كافياً، فلا تستهن ببيان الحقِّ أبداً ا.هـ. "فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام" (٥/ ٢٣٩).

* وقال شيخنا يحيى الحجوري –حفظه الله-: **العزم يا أهلَ السنة حتَّى في الردود على أهلِ الباطل، وعدم المبالاة بهم،** يُمكن يقومون لَكَ عشرةٌ مِنَ الضائعين كلُّ واحدٍ يعمل شريطاً مِن هنا، وذاك يعملُ ملزمةً مِن هنا، وليس قصدهم إلا إشغالك وزعزعتك، خلِّهم ينتهي مشوارهم، وأنتَ ما تُبالي، **فأهلُ السنة عوَّدوا أنفسهم على الثبات وعدم المبالاة بالمبطلين** ا.هـ. "شرح لامية ابن الوردي" (ص:١٢٦).

* * * *

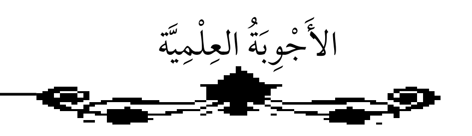


(بَابٌ)

* قال تعالى: ﴿لَوۡلَا يَنۡهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ عَن قَوۡلِهِمُ ٱلۡإِثۡمَ وَأَكۡلِهِمُ ٱلسُّحۡتَۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ٦٣﴾ [المائدة:٦٣].

* قال الإمام الشوكاني رحمه الله: فوبَّخ سبحانه الخاصة، وهم العلماء التاركون للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بما هو أغلظ وأشد من توبيخ فاعل المعاصي، فليفتح العلماء لهذه الآية مسامعهم ويفرجوا لها عن قلوبهم، فإنها قد جاءت بما فيه البيان الشافي لهم بأن كفهم عن المعاصي مع ترك إنكارهم على أهلها لا يسمن ولا يغني من جوع، بل هم أشد حالاً وأعظم وبالاً من العصاة، فرحم الله عالماً قام بما أوجبه الله عليه من فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهو أعظم ما افترضه الله عليه وأوجب ما أوجب عليه النهوض به. اللهم اجعلنا من عبادك الصالحين الآمرين بالمعروف الناهين عن المنكر الذين لا يخافون فيك لومة لائم، وأعِنَّا على ذلك وقوِّنا عليه ويسِّره لنا، وانصرنا على من تعدى حدودك وظلم عبادك، إنه لا ناصر لنا سواك ولا مستعان غيرك، يا مالك يوم الدين، إياك نعبد وإياك نستعين ا.هـ. "فتح القدير" (٢/ ٦٤).

* * * * *



(ذِكْرُ بَعْضِ شُبُهَاتِ الطَّالِبِينَ للإِيقَافِ وَالجَوَابِ عَلَيْهَا)

هُناكَ عِدَّةُ شُبُهَاتٍ ذكرها لي بعضهم محتجِّين بها لإيقاف نشر الكتب المنهجيَّة والردود العلميَّة، رأيتُ أنْ أناقِشَها باختصار، كي يزيل الله تعالى عن قلوبهم الشَّكّ، ويذهب عن أذهانهم الإشكال، ويتَّضح لهم الحقّ مِنَ الباطل بإذن الله تعالى.

ورأس هذه الشبهات:

الشُّبهةُ الأولى: الاحتجاج بتسلُّط العدوِّ الأكبر، وفتح الفجوات له.

الشُّبهة الثانية: أنَّ كتب المنهج والردود العلمية تفرِّق ولا تجمع، وتُنفِّر ولا تجلِب، ونحو ذلِكَ.

الشُّبهة الثالثة: المراعاة لشغبِ بعضِ الذين يُنسبون إلى أهلِ السنَّة.

الشُّبهة الرَّابعة: أنَّ ما تضمَّنته الكتب المنهجيَّة مبسوطٌ في الكتب المطَّولة فلا داعي لإفرادِهَا.

*****



(الجوابُ عَلَى شُبْهَةِ: تَسَلُّطِ العَدُوِّ الأَكْبَرِ وَفَتْحِ الفَجَواتِ لَهُ)

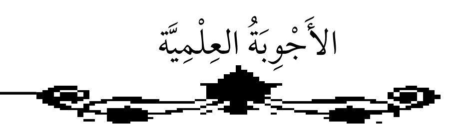
هذه مِن أبرز شبهات هؤلاء القومِ؛ فقد نظروا إلى الأوضاع ورأوا أنَّ كتبَ المنهج والردود على أهلِ البدع والأهواء ومَن يُدخِل في الدَّعوة ما ليس مشروعاً يفتح الفجوات لأعداء الإسلام مِنَ اليهود والنصارى والمجوس والعلمانيين وغيرهم، يقولون: العدوُّ متربِّصٌ بِنَا ونحن يشغل بعضنا بعضاً بهذه الكتب المنهجيَّة !!، فالأمرُ أعظمُ مِن هذا !!!.

وأقول: الجواب على هذه الشبهةِ مِن عِدَّة وجوهٍ؛ مِنها:

*** الوجه الأول:**

-لا يخفانا ما يقومُ به الأعداء مِنَ المكر والكيد والخديعة:

إنَّه لا يخفانا ما يقومُ به أعداءُ الإسلام مِنَ الكفَّار والمنافقين مِنَ المكر والكيد والخديعة بالمسلمين، وما يقومون به مِن زرع الفتن والفرقة في البلدان الإسلامية، كما إنَّه لا يخفانا ما يُخطِّطون به للقضاء على الإسلام وأهله، وخصوصاً القضاء على خُلِّص المسلمين وهم أهلُ السنة والجماعة، وما يقومون به مِنَ الدَّسِّ في أوساطهم مَن يتسمَّى بالإسلام أو ينتسب إلى السُّنَّة ليفسِدَ مِنَ الدَّاخِل، كما إنَّه لا يخفانا ما يقومُ به بعضُ السياسيين والقوَّاد مِن إدخال الجواسيس في بعض أماكن السُّنَّة، كلُّ هذا وغيره حاصلٌ مُنذ زمن نبيِّنا ﷺ إلى زمننا هذا، وإلى ما شاء الله تعالى، وكلُّ ذلِكَ مِن أجلِ تحقيق هدفٍ عظيمٍ



يهدفون إليه، وهو: الردة، والخروج عن الإسلام، عياذاً بالله مِن ذلِكَ، قال تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة:١٢٠].

-استخدام الأعداء لوسائل المكر والخديعة:

ولقد استخدموا ما استطاعوا مِنَ الوسائل لتحقيق هذا الهدف الخبيث، وأنفقوا الأموال الطائلة كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الأنفال:٣٦]، وأشعلوا البلاد الإسلاميَّة بالحروب ليُحقِّقوا هذا المأربِ الخبيث، قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَـٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾﴾ [البقرة:٢١٧].

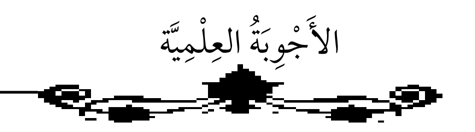
-لا يُحب الأعداء للمسلمين الخيرَ:

فهم لا يحبُّون للمسلمين الخير والأمن والأمان والسلامة، ولا يريدون لهم ذلِكَ أبداً، بل إنَّهم يُحبُّون أن يقع المسلمون في الشرِّ، وأن يبقوا في دوَّامة الفِتَنِ، حتَّى ييأسوا مِن دينِهم، ويقعوا في الكفر فيكونون سواء، وكلُّ ذلِكَ حسداً مِنهم وبغياً، كما قال تعالى: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن

يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾﴾ [البقرة:١٠٥]، وقال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِكُمۡ كُفَّارًا حَسَدٗا مِّنۡ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡحَقُّۖ فَٱعۡفُواْ وَٱصۡفَحُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿١٠٩﴾﴾ [البقرة:١٠٩]، وقال تعالى: ﴿إِن يَثۡقَفُوكُمۡ يَكُونُواْ لَكُمۡ أَعۡدَآءٗ وَيَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ وَأَلۡسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ ﴿٢﴾﴾ [الممتحنة:٢]، وقال تعالى: ﴿وَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءٗ﴾ [النساء:٨٩]. فأمرهم بحمدِ الله تعالى لا يخفانا.

* قال فضيلة الشيخ العلامة أحمد النجمي رحمه الله: أمَّا المؤامرات ضدُّ الإسلام؛ فهي مِن حياةِ النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم، فقد اجتمع الملأ مِن قريش في دار الندوة، وخطَّطوا لقتلِهِ، أو سجنه، أو إخراجه مِن بينهم، وأخيراً أجمعوا رأيهم على قتله؛ فأنزل الله: ﴿وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثۡبِتُوكَ أَوۡ يَقۡتُلُوكَ أَوۡ يُخۡرِجُوكَۚ وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنفال:٣٠].

ونتيجة هذا المكر؛ فقد أرصدوا اثني عشر شاباً في يد كلِّ واحدٍ منهم سيفٌ مُصْلَت ليقتلوا النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم إذا خرج، فأعمى الله أبصارهم عنه، وخرج من بينهم، ثمَّ هاجر.



وما زالَتْ الخُطَط تُحاك، والمؤامرات تُدبَّر مِن زمن النبيِّ ﷺ إلى زمننا هذا، مِن كلِّ فئةٍ مِن فئات الكفر؛ سواء كانوا يهوداً أو نصارى، أو مشركين وثنيِّين، أو ملحدين، أو منتسبين إلى الإسلام، ولكنَّهم علمانيُّون ينتمون إلى الإسلام مجرَّد انتماءٍ، أمَّا اتِّجاههم، وأعمالهم فهي تُخالف الإسلام ...

والمهمُّ: أنَّ المؤامرات ضِدُّ الإسلام والمسلمين حاصلةٌ في كلِّ زَمَنٍ؛ وهي حاصلةٌ مِن جميع فئات الكفر ا.هـ. المراد. "الدُّرر النجميَّة في ردِّ بعض الشبهات العقدية والمنهجيَّة" (ص:١٤١-١٤٢).

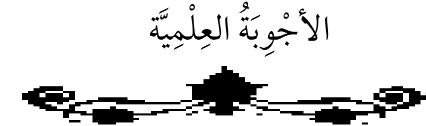
قلتُ: فينبغي لنا أن نحذرَهم، وأنَّ نجتنب الأسباب التي تفتح لهم الفجوات، وتسلُّطهم علينا، ومِن ذلِكَ المعاصي والبدع والتفرُّق والاختلاف، أمَّا كون أنَّهم يريدون بالإسلام وأهله شرَّاً فهذا معلومٌ في كلِّ زمنٍ، وعليه فنقول:

*** الوجه الثاني:**

-المعاصي والمخالفات الشرعيَّة هي التي تسلط الأعداء وتفتح لهم الفجوات:

المعاصي والمُخالَفات الشَّرعيَّة هي التي تسلِّط الأعداء، وهي التي تفتح الفجوات على المسلمين، فمِن هُنا يدخل الأعداء.

* قال شيخ الإسلام ابنُ تيمية رحمه الله: ومِنَ المعلوم بما رآنا الله مِن آياتِهِ في الآفَاقِ وفي أنفسِنَا، وبما شهد في كتابه: أنَّ المعاصي سبب المصائب، فسيئات



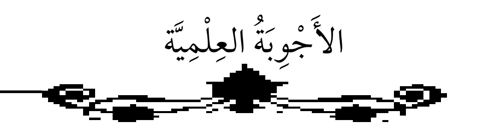
المصائب والجزاء: هي مِن سيئات الأعمال ا.هـ. "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر" (ص:٤٧).

* وقال الإمام ابن القيم رحمه الله: إنَّ الأعمال جند للعبد وجندٌ عليه، ولا بُدَّ، فللعبد كلّ وقت سَرِيَّةٌ مِن نفسه تَهْزِمُه، أو تنصره، فهو يمُدُّ عدوَّه بأعماله من حيث يظن أنه يُقاتله بها، ويبعث إليه سرية تغزوه مع عدوه من حيث يظنُّ أنه يغزو عدوَّه، فأعمالُ العبد تسوقُهُ قسراً إلى مقتضاها مِن الخير والشر، والعبدُ لا يشعر أو يشعر ويتعامى ا.هـ. "زاد المعاد" (٣/ ٢١٣)

* قال العلامة النَّجمي رحمه الله: وكلُّ ما حصل على المسلمين إنَّما هو بسبب تقصيرِهِم في العناية بدينهم، ولو أنَّ المسلِمين اهتمُّوا بدينهِم وعملوا به، ودعوا إليه لَمَا ضرَّتهم مكائد الأعداء مِن منافقين وغيرهم؛ لأنَّ الله تعالى يقول وقوله الحقّ: ﴿وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا﴾ [آل عمران:١٢٠].

وفي الحديث الصحيح، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «**إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ، سَلَّطَ اللهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ**».

وأخيراً: نحنُ لا نُنكر المؤامرات، ولكنَّا نلوم أنفسَنَا؛ لأنَّا أخلينا مواقع الحراسة لديننا، فجاء العدو، فوجد الثَّغر غيرَ محروسٍ، فدخَلَ ا.هـ. "الدرر النجميَّة" (ص:١٤٢-١٤٣).



-مِن أدلَّةِ ذلِكَ:

قلتُ: قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةِۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍۖ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًاۚ﴾ [يونس:٢٧]، وقال تعالى: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ١٦٥﴾ [آل عمران:١٦٥]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ٣٠﴾ [الشورى:٣٠]، وقال تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ٤١﴾ [الروم:٤١].

* وقال رسولُ الله ﷺ: «**إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمُ الجِهَادَ، سَلَّطَ اللهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ**». أخرجه أبو داود برقم (٣٤٦٢)، عن ابن عمر رضي الله عنهما. وهو حديثٌ صحيحٌ.

-مثالٌ لتسلُّط الأعداء على المسلمين مِن باب المعاصي والأخطاء:

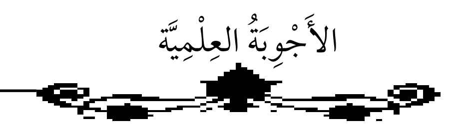
ولنأخذ مثالاً واحداً يُبيِّن لنا مدى حصول الفجوات، وتسلُّط الأعداء إذا حصَلَت المعصية.

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ [آل عمران:١٥٢-١٥٣].

* قال الإمام ابن القيم ﵀: أخبرهم أنه صدقهم وعده في نصرتهم على عدوهم، وهو الصادق الوعد، وأنهم لو استمروا على الطاعة ولزوم أمر الرسول لاستمرت نصرتهم، ولكن انخلعوا عن الطاعة، وفارقوا مركزهم، فانخلعوا عن عصمة الطاعة، ففارقتهم النصرة، فصرفهم عن عدوِّهم عقوبةً وابتلاءً وتعريفاً لهم بسوء عواقب المعصية، وحسن عاقبة الطاعة.

ثم أخبر أنه عفا عنهم بعد ذلك كله، وأنَّه ذو فضل على عباده المؤمنين ا.هـ. المراد. "زاد المعاد" (٣/ ٢٠٣).

* وقال العلامة السَّعدي ﵀: يذكِّرهم تعالى حالَهم في وقت انهزامهم عن القتال، ويعاتبهم على ذلك، فقال: (إذ تصعدون) أي: تجدون في الهرب (ولا



تلوون على أحدٍ) أي: لا يلوي أحد منكم على أحد، ولا ينظر إليه، بل ليس لكم همٌّ إلا الفرار والنجاء عن القتال.

والحال أنَّه ليس عليكم خطر كبير، إذ لستم آخر الناس مما يلي الأعداء، ويباشر الهيجاء، بل (الرسول يدعوكم في أخراكم) أي: مما يلي القوم يقول: "إليَّ عباد الله" فلم تلتفتوا إليه، ولا عرجتم عليه، فالفرار نفسه موجبٌ للَّوم، ودعوة الرسول الموجبة لتقديمه على النفس، أعظم لَوْمًا بتخلفكم عنها، (فأثابكم) أي: جازاكم على فعلكم (غمًّا بغم) أي: غما يتبع غماً، غمٌّ بفوات النصر وفوات الغنيمة، وغمٌّ بانهزامكم، وغمٌّ أنساكم كلَّ غمٍّ، وهو سماعكم أن محمداً ﷺ قد قتل ا.هـ. "تيسير الكريم الرحمن".

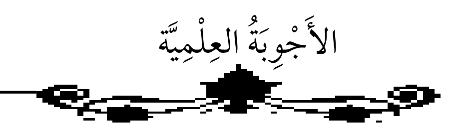
وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ مِنكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ إِنَّمَا ٱسۡتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِبَعۡضِ مَا كَسَبُواْۖ وَلَقَدۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٞ ١٥٥﴾ [آل عمران:١٦٦].

* قال الإمام ابن القيم رحمه الله: أخبر سبحانه وتعالى عن تولي من تولى من المؤمنين الصادقين في ذلك اليوم وأنه بسبب كسبهم وذنوبهم، فاستزلهم الشيطان بتلك الأعمال حتى تولوا، فكانت أعمالهم جنداً عليهم ازداد بها عدوهم قوة، فإن الأعمال جند للعبد وجند عليه ولا بد، فللعبد كل وقت سرية من نفسه تهزمه أو تنصره، فهو يمد عدوه بأعماله من حيث يظن أنه يقاتله بها،

ويبعث إليه سرية تغزوه مع عدوه من حيث يظن أنه يغزو عدوه، فأعمال العبد تسوقه قسرا إلى مقتضاها من الخير والشر، والعبد لا يشعر أو يشعر ويتعامى، ففرار الإنسان من عدوه وهو يطيقه إنما هو بجند من عمله بعثه له الشيطان واستزله به ثم أخبر سبحانه أنه عفا عنهم، لأن هذا الفرار لم يكن عن نفاق ولا شك، وإنما كان عارضا عفا الله عنه فعادت شجاعة الإيمان وثباته إلى مركزها ونصابها.

ثم كرَّر عليهم سبحانه أنَّ هذا الذي أصابهم إنما أتوا فيه من قبل أنفسهم، وبسبب أعمالهم، فقال: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٦٥﴾، وذكر هذا بعينه فيما هو أعم من ذلك في السور المكية، فقال: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ٣٠﴾ ا.هـ. "زاد المعاد" (٣/ ٢١٣-٢١٤).

* وقال العلامة السَّعدي رحمه الله: يخبر تعالى عن حال الذين انهزموا يوم "أُحُدٍ" وما الذي أوجب لهم الفرار، وأنه من تسويل الشيطان، وأنَّه تسلَّط عليهم ببعض ذنوبهم. فهم الذين أدخلوه على أنفسهم، ومكنوه بما فعلوا من المعاصي، لأنها مركبه ومدخله، فلو اعتصموا بطاعة ربهم لما كان له عليهم من سلطان ا.هـ. "تيسير الكريم الرحمن".



فهذا مثالٌ واحدٌ فيه دليلٌ قويٌّ على أنَّ الأخطاء تضرُّ، وتسلِّط الأعداء، وتفتح الفجوات.

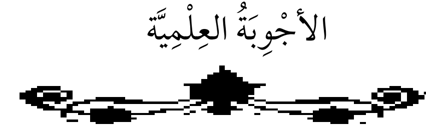
* قال الإمام ابن القيم رحمه الله: والمقصود أنَّ المبطلين لا سبيل لهم على أتباع الرُّسل البتَّة، قال تعالى: ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ١٤١﴾ [النساء:١٤١]، ...

فإنَّ الله ضمن أن لا يجعل للكافرين على المؤمنين سبيلاً، فحيث كانت لهم سبيل ما عليهم فهم الذين جعلوها بتسببهم ترك بعض ما أقروا به، أو ارتكاب بعض ما نهوا عنه، فهم جعلوا لهم السبيل عليهم بخروجهم عن طاعة الله ورسوله في ما أوجب تسلط عدوهم عليهم من هذه الثغرة التي أخلوها، كما أخلى الصحابة يوم أحد الثغرة التي أمرهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بلزومها وحفظها فوجد العدو منها طريقاً إليهم فدخلوا منها ا.هـ. "الصواعق المرسلة" (١/ ١٣٩٤).

*** الوجه الثالث:**

-البِدَعُ والأهواء مِن أعظم الفجوات لتسليط الأعداء:

ومِن أعظَمِ الفجوات التي يدخل مِنْهَا الأعداء، ويتسلَّطون بها على المسلمين: البِدَع والأهواء.



فإذا كانَتِ المعاصِي دونَ البِدَعِ تسلِّط الأعداء وتعمل عملها الكبير في فتح الفجوات لهم؛ فكيف بالبِدَعِ الَّتي هي أشدُّ خطراً مِنْها، والَّتي فيها مِنَ المفاسِدِ والأضرار على المسلمين أضعاف ما في دونها مِنَ المعاصي، والَّتي تخرج مِن تحتها: الفرقة والتَّحزُّب، والقتل والقتال، ووو إلخ ؟!!.

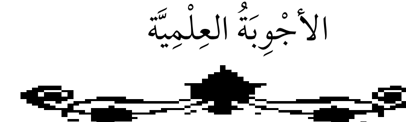
ومع هذا نجِدُ بعض النَّاس ممَّن قد ينسب نفسَه للسنَّة يغترّ بشبهة الموقفين للكتب المنهجيَّة، والردود العلميَّة، بأنَّ الأعداء يتسلَّطون على المسلمين، فلا داعي لها !!.

* قال العلامة النَّجمي ﷺ: لا نُنكر وجود المؤامرات ضدّ الإسلام والمسلمين، ولكن نشكو مِنْ تقبُّلِ مَن يزعمون لأنفسِهِم أنَّهم مِنَ السَّلفيِّين، ومحسوبين عليهم، نشكو مِنهم تقبّلهم لأفكار المبتدعة، ونشرهم لها، ودعوتهم إليها ا.هـ. "الدُّرر النَّجميَّة" (ص:١٤٤).

* قال الإمام ابن القيم ﷺ: وليس لمبطلٍ بحمد الله حجةً ولا سبيل بوجه من الوجوه على من وافق السُّنَّة ولم يخرج عنها، حتى إذا خرج عنها قدر أنملة تسلَّط عليه المبطل بحسب القدر الذي خرج به عن السنة، فالسنة حصن الله الحصين الذي من دخله كان من الآمنين، وصراطه المستقيم الذي من سلكه كان إليه من الواصلين، وبرهانه المبين الذي من استضاء به كان من المهتدين ا.هـ. "الصواعق المرسلة" (٤/ ١٢٥٥).

وعلى كلٍّ: مِن أعظَمِ أسباب تسلُّط الأعداء على المسلمين: فشو البدع والأهواء باسمِ الدِّين في أوساط المسلمين، فإنَّ الغايةَ التي يريدونَها هي: هدمُ الدِّين وطمس معامله، وتحريفه، وتبديله، فلم يجدوا باباً مهيأً لهم أكثر مثلَ باب (البِدَع والأهواء)، ويعلمون أنَّ مِن أعظم الأبواب لنشر البدع والأهواء هو: إنشاء فِرَق وجماعات وأحزاب، فإنَّ البدعةَ مقرونةٌ بالفُرقة، ثمَّ يتوسَّع الأمر حتَّى تصير مِنَ الدِّين، فيُعادى مِن أجلِهَا، ويُوالى مِن أجلها، ويعلمون أنَّهم لا يستطيعون للمسلمين إلا مِنَ الدَّاخِلِ بتسليط أهل البِدَع والأهواء والتَّحزُّب والإغواء.

* قال الإمام عبد العزيز ابن باز ﵀: فالواجب على علماء المسلمين: **توضيح الحقيقة ومناقشة كلِّ جماعة أو جمعية، ونصح الجميع بأن يسيروا في الخط الَّذي رسمه الله لعباده ودعا إليه نبيُّنا محمد** ﷺ، ومن تجاوز هذا أو استمر في عناده لمصالح شخصية أو لمقاصد لا يعلمها إلا الله- **فإن الواجب التشهير به والتحذير منه ممن عرف الحقيقة، حتى يتجنب الناس طريقهم وحتى لا يدخل معهم من لا يعرف حقيقة أمرهم فيضلوه ويصرفوه عن الطريق المستقيم الذي أمرنا الله باتباعه** في قوله جل وعلا: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام:١٥٣].



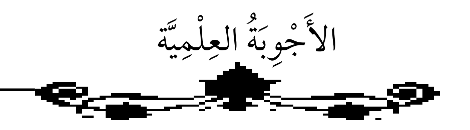
وبما لا شكَّ فيه أن كثرة الفِرق والجماعات في المجتمع الإسلامي مما يحرص عليه الشيطان أولاً، وأعداء الإسلام من الإنس ثانياً؛ لأن اتفاق كلمة المسلمين ووحدتهم وإدراكهم الخطر الذي يهددهم ويستهدف عقيدتهم يجعلهم ينشطون لمكافحة ذلك، والعمل في صف واحدٍ من أجل مصلحة المسلمين، ودرء الخطر عن دينهم وبلادهم وإخوانهم، وهذا مسلك لا يرضاهُ الأعداء من الإنس والجن، فلذا هم يحرصون على تفريق كلمة المسلمين، وتشتيت شملهم، وبذر أسباب العداوة بينهم ا.هـ. "مجموع فتاوى ومقالات" (٥/ ٢٠٣).

-الكتابة في المنهجِ والرَّد على أهل البِدَع والأهواء يحرس الدِّين مِن تسلُّط الأعداء:

إذاً؛ فردُّ البِدَعِ والأهواء، وبيانُ سبيل المبتدعين والمجرمين مِن أعظَمِ ما يردُّ كيدَ أعداء الدِّين، ومِن أعظمِ ما يغيظ الكافرين والمنافقين، يدلُّ على ذلك: أنَّ ما مِن رجلٍ يردُّ على أهل البِدَعِ والأهواء؛ إلا ووجدنا الكفَّار والمنافقين يقفون في صفِّ أهلِ البِدَعِ والأهواء بأسلوبٍ وآخر، تصريحاً أو تلميحاً.

ولهذا؛ فقد حثَّ الأئمةُ على ردِّ البِدَعِ والأهواء وكشف زيفها وضلالها، وفضح أهلها والتحذير مِنْهُم، ورأوا أنَّ ذلِكَ قد يكون أولى، وبيَّنوا أنَّ العدو لا يدخل على المسلمين في الغالب إلا مِن هذا الباب.

* قال الإمام ابن القيم رحمه الله: ولهذا اشتدَّ نكيرُ السَّلف والأئمة لها -أي البدعة-، وصاحوا بأهلها من أقطار الأرض، وحذَّروا فتنتهم أشدَّ التحذير، وبالغوا في ذلك ما لم يبالغوا مثله في إنكار الفواحش، والظلم والعدوان، **إذ**



مضرَّة البدع وهدمها للدِّين ومنافاتها له أشدّ ا.هـ. "مدارج السالكين" (١/ ٣٧٨).

* قال العلامة النَّجمي رحمه الله: إنَّ حراسة الإسلام هي: **حمايته مِن كلِّ دخيلٍ**، وبيانُ أحكامه الحقَّة، تعلُّماً وتعليماً، ونشراً، بالمحاضرات، والندوات، والدروس، **والمؤلَّفات، وتصفيته مِنَ البِدَعِ**، وغيرها.

ولقد هيَّأ الله عزَّ وجلَّ على أيدي السَّلفيين هنا وهناك خيراً كثيراً، والحمد لله، **رُغم ما يُغبِّش به المبتدعة، والمتعاطفون معهم** ا.هـ. "الدُّرر النَّجميَّة" (ص:١٤٣-١٤٤).

قلتُ: قد بيَّن الإمام ابن القيم رحمه الله **أنَّ الكتابةَ في المنهجِ، والذَّبَّ عن دينِ الله تعالى بالقلم، والرَّدّ على أهل البِدَع والأهواء، وكشف الباطل وأهله** مِن أعظَمِ الأقلام حرباً على أهلِ الكفر أعداء الإسلام، ومِن أعظَمِ الانتصار عليهم، وردّ كيدهم، ومكرهم، وجعل أصحابه أهل الحجَّة، ورجال الدَّعوة، وأصحاب الحكمة.

* فقال رحمه الله: **القلم الثاني عشر القلم الجامع وهو قلم الرد على المبطلين ورفع سنة المحقين وكشف أباطيل المبطلين على اختلاف أنواعها وأجناسها وبيان تناقضهم وتهافتهم وخروجهم عن الحق ودخولهم في الباطل وهذا القلم في الأقلام نظير الملوك في الأنام وأصحابه أهل الحجة الناصرون لما جاءت به الرسل المحاربون لأعدائهم وهم الداعون إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة المجادلون لمن خرج عن سبيله بأنواع الجدال وأصحاب هذا القلم حرب لكل**

مبطل وعدو لكل مخالف للرسل فهم في شأن وغيرهم من أصحاب الأقلام في شأن ا.هـ. "التبيان في أقسام القرآن" (ص:٢١٢).

* **الوجه الرابع:**

-الضرر والشرّ مِنَ القريب والدَّاخل قد يكون أكثر خطراً مِنَ البعيد والخارج:

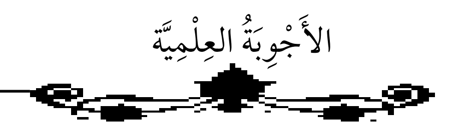
وكلّما كان الباطل يشبه الحقّ كلَّما كان ضرره على الحقِّ أكثر.

إذاً؛ كلّما كان الشرّ مِنَ القريب والداخل حاصلاً كلّما كان التَّحذير مِنه أوجب وأولى.

فالمعتزلة ليسوا أشدّ خطراً وتلبيساً مِنَ الأشاعرة **باعتبار** أنَّ الأشاعرة ينسبهم بعض الناس إلى السنَّة، فينشرون بدعهم باسمِ السنة بخلاف المعتزلة، فإنَّهم ينشرونَها باسمهم وأمرهم واضح.

وهكذا في العصر الحاضر الإخوان المسلمون وأصحاب حزب التَّحرير ليسوا بأكثر خطراً وتلبيساً مِنَ أصحاب الحزب السروري وأصحاب جمعية الحكمة والإحساء والبر والتقوى، وغيرها، وإن كانت بعض بدعهم أخفّ.

وهكذا؛ أصحاب الحزب السروري وحزب الجمعيَّات ليسوا بأكثر خطراً وتلبيساً مِن أصحاب التقعيدات الخلفيةِ باسمِ الدَّعوةِ السّلفيَّة، كأصحاب أبي الحسَن المأربي، وعلي الحلبي، ومحمد الإمام صاحب الإبانة، وغيرهم، فإنَّ تقعيداتهم تفتح باب التمييع للدَّعوةِ السلفيَّة، ويستدرجها حتَّى تصير كبقية الدَّعواتِ الحزبية.

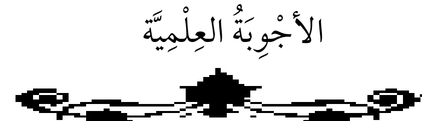


* قال الإمام عبد الله الحميدي شيخ الإمام البخاري ﵀: والله لأنْ أغزو هؤلاء الذين يردُّون حديثَ رسولِ الله أحبُّ إليَّ مِن أن أغزو عِدَّتَهُم مِنَ التُّرْكِ ا.هـ. "ذم الكلام" للهروي برقم (٢٨٨).

* قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﵀: كما أنَّ خيرَ النَّاس الأنبياء، فشرُّ النَّاس مَن تشبَّه بهم مِنَ الكذَّابين، وادَّعى أنَّه مِنهم وليس منهم، فخير الناس بعدهم: العلماء، والشهداء، والمتصدِّقون، والمُخلِصُون، وشرُّ الناس مَن تشبَّه بهم يوهم أنَّه منهم، وليس منهم ا.هـ. نقلاً مِن "الداء والدواء" لابن القيم (ص:٥٥).

* وقال ﵀ -مبيِّناً شرَّ الخوارج وأنَّهم أشرُّ مِنَ اليهود والنصارى على المسلمين-: أي أنهم -يعني الخوارج- **شرٌّ على المسلمين من غيرهم، فإنهم لم يكن أحدٌ شراً على المسلمين منهم**: لا اليهود ولا النصارى؛ فإنهم كانوا مجتهدين في قتل كل مسلم لم يوافقهم، مستحلِّين لدماء المسلمين وأموالهم وقتل أولادهم، مكفِّرين لهم، وكانوا متدينين بذلك لعظم جهلهم وبدعتهم المضلة ا.هـ. "منهاج السنة النبوية" (٥/ ٢٤٨).

* وقال العلامة السجزي ﵀ -بعد كشفه لبعض تلبيسات الكلابية والأشاعرة-: **المعتزلة مع سوء مذهبهم أقل ضرراً على عوام أهل السنة من هؤلاء**، لأن المعتزلة قد أظهرت مذهبها ولم تستقف ولم تموِّه. بل قالت: إن الله بذاته في كل مكان، وإنه غير مرئي وإنه لا سمع له ولا بصر، ولا علم، ولا قدرة ولا قوة، ولا إرادة، ولا كلام، ...



والكلابية والأشعرية قد أظهروا الرد على المعتزلة، والذَّب عن السنة وأهلها، ...

والضرر بهم أكثر منه بالمعتزلة لإظهار أولئك ومجاوبتهم أهل السنة وإخفاء هؤلاء ومخالطتهم أهل الحق. نسأل الله السلامة من كل برحمته ا.هـ. "رسالة السجزي إلى أهل زبيد" (ص:٢٧٠-٢٧٨).

* وقال رحمه الله: والذين بُلي كثيرٌ من أهل العلم بهم: المعتزلة، وهم أعداء الأثر وأهله، و كبراؤهم: أبو الهذيل العلاف، وجعفر بن مبشر، والنظام، والجاحظ، وأبو علي الجبائي، وابنه أبو هاشم، وأبو القاسم الكعبي البلخي، وقبل هؤلاء: عمرو بن عبيد، وواصل بن عطاء. وبعدهم: أبو عبد الله البصري، وأبو القاسم الواسطي. وبعدهما: الصاحب إسماعيل بن عباد، وعبد الجبار الأسدي، كل هؤلاء دعاة إلى الضلالة.

ثم بُلي أهلُ السُّنَّة بعد هؤلاء بقوم يدَّعون أنهم من أهل الاتباع؛ وضررهم أكثر من ضرر المعتزلة وغيرهم ا.هـ. المرجع السابق (ص:٣٤٠-٣٤٣).

-القيام بواجب الذَّبِّ عن السنَّة والرَّدّ على أهل البدع والأهواء قد يكون أولى:

قلتُ: فعُلِمَ بهذا؛ أنَّ القيام بواجبِ الذَّب عن السنة والرَّدّ على البدع وأهلها بمثل هذه الكتُبِ المنهجيَّة أولى.

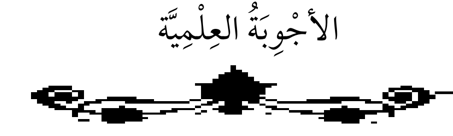
* قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: قال بعضهم لأحمد ابن حنبل: إنه يثقل عليَّ أن أقول فلان كذا وفلان كذا، فقال: إذا سكتَّ أنتَ وسكتُّ أنا فمتى يعرف الجاهلُ الصحيحَ من السقيم ؟!.

ومثل أئمة البدع من أهل المقالات المخالفة للكتاب والسنة أو العبادات المخالفة للكتاب والسنة؛ فان بيان حالهم وتحذير الأمة منهم واجبٌ باتفاق المسلمين حتى قيل لأحمد بن حنبل: الرجل يصوم ويصلي ويعتكف أحب اليك أو يتكلم في أهل البدع ؟ فقال: إذا قام وصلى واعتكف فإنما هو لنفسه، واذا تكلم في أهل البدع فإنما هو للمسلمين، هذا أفضل.

فبيَّنَ أنَّ نفع هذا عام للمسلمين في دينهم من جنس الجهاد في سبيل الله؛ **إذ تطهير سبيل الله ودينه ومنهاجه وشرعته ودفع بغي هؤلاء وعدوانهم على ذلك واجبٌ على الكفاية باتفاق المسلمين، ولولا من يقيمه الله لدفع ضرر هؤلاء لفسد الدِّين، وكان فسادُه أعظم من فساد استيلاء العدو من أهل الحرب؛ فإنَّ هؤلاء اذا استولوا لم يفسدوا القلوب وما فيها من الدِّين إلا تبعاً، وأما أولئك فهم يفسدون القلوب ابتداء** ا.هـ "مجموع الفتاوى" (٢٨/ ٢٣١-٢٣٢).

* وقال الإمام ابن الجوزي رحمه الله: قَالَ أبو الوفا عَليّ بن عقيل الْفَقِيه: قَالَ شَيخنَا أَبُو الْفضل الْهَمدَانِي: **مبتدعة الْإِسْلَام والواضعون للأحاديث أَشدُّ من الْمُلْحِدِينَ؛ لِأَن الْمُلْحِدِينَ قصدُوا إِفْسَاد الدَّين من خَارج، وَهَؤُلَاء قصدُوا إفساده من دَاخل**، فهم كَأَهل بلد سعوا فِي إِفْسَاد أَحْوَاله، والملحدون كالحاضرين من خَارج، فالدخلاء يفتحون الْحصن، فَهُوَ شَرّ على الاسلام من غير الملابسين له ا.هـ "الموضوعات" (١/ ٥١).

قلتُ: ولهذا فـ:



*** الوجه الخامس:**

-تخوُّف نبيِّنا ﷺ مِنَ العدوِّ الدَّاخِلي:

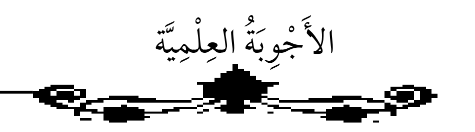
إنَّ نبيَّنا ﷺ تخوَّف مِنَ العدوِّ الدَّاخلي، فقد روى الإمام مسلم برقم (٢٨٨٩)، عن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ زَوَى لِيَ الأَرْضَ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا، وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ الأَحْمَرَ وَالأَبْيَضَ، وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لأُمَّتِي أَنْ لاَ يُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ بِعَامَّةٍ، وَأَنْ لاَ يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ، وَإِنَّ رَبِّي قَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لاَ يُرَدُّ، وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ لأُمَّتِكَ أَنْ لاَ أُهْلِكَهُمْ بِسَنَةٍ بِعَامَّةٍ، وَأَنْ لاَ أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ يَسْتَبِيحُ بَيْضَتَهُمْ وَلَوِ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بِأَقْطَارِهَا - أَوْ قَالَ-: مَنْ بَيْنَ أَقْطَارِهَا - حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا**».

وعند أبي داود برقم (٤٢٥٢) زيادة: «**وَإِنَّمَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي الأَئِمَّةَ الْمُضِلِّينَ**».

والأئمة المضلُّون: هم مقتدى الأقوام ورؤساؤهم، ومَن يدعو النَّاس إلى قولٍ او فعلٍ أو اعتقادٍ أو منهجٍ مخالفٍ للشريعةِ الإسلاميِّة، وللطريقةِ السَّلفيَّة.

❊ قال الإمام ابن القيم رحمه الله: إن هؤلاء المعارضين للوحي بآرائهم وعقولهم في الأصل صنفان:

صنفٌ مباينون للرسل، محادُّون لهم، مكذبون لهم في أصل الرسالة؛ كالفلاسفة الصابئين، والمجوس، وعباد الأوثان، والسحرة وأتباعهم.

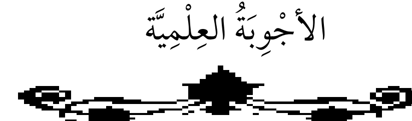


وصنفٌ منتسبون إلى الرسل في الأصل، غير مكذِّبين لهم في أصل الرسالة؛ وهم الجهمية والمعطلة ومن سلك سبيلهم، ووافقهم على بعض باطلهم، وخالفهم في بعضه، وقد تقدم أن الصنف الأول يستطيلون على الصنف الثاني بما وافقوهم فيه من التعطيل، ويجرونهم به إلى موافقتهم في القدر الذي خالفوهم فيه، والجهمية المغل يستطيلون على الجهمية المخانيث بما وافقوهم فيه من النفي، ويجرونهم به إلى موافقتهم في القدر الذي خالفوهم فيه، وهؤلاء المخانيث يستطيلون على أهل السنة والحديث أيضاً بالقدر الذي وافقوهم فيه، ويدعونهم به إلى موافقتهم في الباقي، فلم يستطل المبطل على المحق من حيث خالفه وإنما استطال عليه من حيث وافقه فما أصيب المحق إلا بطاعته للمبطل في بعض أمره ا.هـ. "الصواعق المرسلة" (٤/ ١٣٩٤).

* **الوجه السادس:**

-الغفلة عن الاهتمام بالعقيدة والمنهج سببٌ لتسلُّط الأعداء:

إنَّ الغفلة في أمورِ الدِّين خصوصاً العقيدة والمنهج يفتح فجوة للأعداء ليتسلَّطوا على المسلمين، فإذا كانت الغفلة عن الأسلحة والأمتعة الحِسيَّة سبباً لتسلُّط الأعداء؛ فكيف بالغفلة عن الأسلحة والأمتعة المعنوية التي لا تقوم الحِسيَّة إلا بِها ؟!، فمَنْ قام بالعقيدة والمنهج ونشرهما، وردَّ على أهل الكفر والإلحاد وأهل البدع والأهواء؛ تربَّص به الأعداء أكثرَ مِن غيره، فإذا تباطء عن ذلِكَ، ولم يكتب ويُنافح عن المنهج، ولم يرد على أهل الباطل استغلُّوا ذلِكَ وتسلَّطوا عليه أولاً، وعلى المسلمين ثانياً.



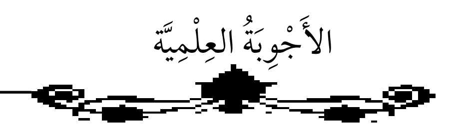
يدلُّ على ما قلنا دليلٌ صريحٌ مِن كتاب الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً﴾ [النساء:١٠٢].

* قال الإمام ابن عثيمين رحمه الله: أعداء الإسلام يتربَّصون بهم -يعني المسلمين- الدوائر، ويتحيَّنون الفُرَص، وتؤخذ مِن قوله تعالى: ﴿وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً﴾، ويُمكن أن يؤخذ مِن هذا: أنَّ أعداء الإسلام يستغفلون أهلَ العلم الذين يبيِّنون للناس فضائل الإسلام وقبائح الكفر؛ لأنَّهم إذا كانوا يستغفلون هؤلاء حال القِتَال فكذلِكَ أيضاً في حال السِّلْمِ **يستغفلون مِن أجلِ ألا يردُّوا عليهم، ولا يُبيِّنوا معايبَهُم** ا.هـ. "تفسير القرآن الكريم" (سورة النساء) (٢/ ١٥٢).

*** الوجه السَّابع:**

-الاحتجاج بهذه الشبهة سبيلٌ إلى التساهل في إنكار المنكرات:

الاحتجاجُ بهذه الشبهة على إيقاف كتب المنهج سبيلٌ إلى التَّساهلِ في إنكار المنكرات، كما حَصَلَ مِن أهل البِدَعِ، وبخصوص هذا العصر (فرقة الإخوان المسلمين) وفصائلها؛ فإنَّها تغرق في البدع؛ فإذا أُنكِرَ عليهم احتجَّوا بتسلُّط الأعداء، وأنَّ الاهتمام بمواجهةِ العدوّ أولى، ونحو ذلِكَ، حتَّى تمادوا في البدع والمعاصي.



-بيان فساد قاعدة (القُشُور واللُّباب):

وهذه النظرية الخاطئة مِنهم بناءً على أصلٍ فاسدٍ وقاعدةٍ باطلةٍ؛ وهي: تقسيم الدِّين إلى قشورٍ ولُباب.

ومعنى اللباب: أمور العقيدة، والحاكميَّة. والقشور: ما عدا ذلِكَ، فالبدعة والكبائر والمعاصي الصغائر هذه عندهم قشورٌ.

وهذا التَّقسيم مُبتَدَعٌ، وقد ناقشه وردَّه وأبطله فضيلةُ شيخنا المبارك سليم الهلالي –حفظه الله– في رسالةٍ خاصَّةٍ بعنوان: "دلائل الصواب في إبطال بدعة تقسيم الدِّين إلى قشر ولُباب".

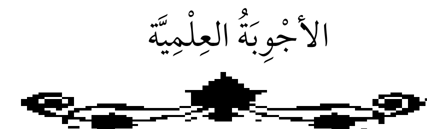
وسأنقل هنا خلاصةً مِن رسالته باختصارٍ وتصرُّفٍ يسير.

* قال حفظه الله (٣٣-٣٩): إذا كان صحيح النقل حكم ببطلان هذا التقسيم، فإنَّ صريح العقل كذلك:

١– كل تقسيم لا يشهد له الكتاب والسنة وأصول الشرع بالاعتبار باطلٌ يجب إلغاؤه. وهذا التقسيم أصلٌ من أصول الضَّلال، فإنَّ القائلين به فرَّقوا بين ما سمّوه لباباً وما نعتوه قشوراً، وسلبوا القشور حكم الله المُعيّن فيها، بل تركوها مرتعاً للأهواء، إذ كل له وجهةٌ هو مولّيها، وهو مصيبٌ فيها.

وهذا باطلٌ من وجوه عديدة:

أ – أنَّه خلاف نصوص القرآن والسنة، وخلاف إجماع الصحابة وأئمة الإسلام.



ب – أنه يجعل حكم الله تابعاً لآراء الرجال، وظنونها.

ت – أن يجتمع الضدَّان في الشيء الواحد، فيكون حسناً قبيحاً لله، مسخوطاً له محبوباً له مبغوضاً.

ث – أنَّه ينفي حقيقة حكم الله في نفس الأمر.

جـ – أنَّه يجعل الحقائق تبعاً للاعتقادات، فمن اعتقد بطلانه؛ كان باطلاً، ومن اعتقد صحته؛ كان صحيحاً، ومن اعتقد حلَّه؛ كان حلالاً، ومن اعتقد تحريمه؛ كان حراماً.

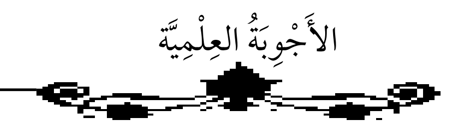
وهذا التصوُّر أوَّله سفسطه، وآخره زندقة؛ لأنَّه يتضمن بطلان حكم الله تعالى قبل وجود المجتهدين، وأنَّ الله لم يشرِّع لرسوله ﷺ سنن الهدى التي بيّنت أمره ونهيه.

حـ – أنَّه يرفع ثبوت الأجرين للمجتهد المصيب، والأجر الواحد للمخطئ، فإنَّه لا خطأ عندهم، بل كل مجتهدٍ مصيبٌ لحكم الله في نفس الأمر.

خـ – هذا التقسيم ليس له حدٌّ فاصلٌ تُعرف به القشور من اللباب، ونحن نطالبهم بفرق واضحٍ صحيح، ولا يجدون إلى الفرق سبيلاً؛ إلا بدعاوى باطلة.

فإن قالوا: اللباب ما فيه دليلٌ قطعي، والقِشر خلافه.

قلتُ: هذا يلزم منه الدَّور، فإنَّه إذا قيل: لا يثبت اللباب إلا بالدليل القطعي، ثمَّ قيل: اللباب ما فيه دليلٌ قطعي؛ كان ذلك دوراً، والدَّور باطلٌ، وما بُني على باطلٍ فهو باطلٌ.



ناهيك أنَّ كثيراً من الأمور الفرعية التي يعدونها قشوراً، عليها أدلةٌ قطعيةٌ؛ كمسائل الطهارة والصلاة والصيام والحج والزكاة ... وهكذا أكثر الشريعة؛ أدلّتها قطعية.

وهذا على نقيض حالهم الحالك، إذ أنَّ الأصول التي يعدونها لباباً أدلتها ظنيَّة؛ لأنَّها مبنيّةٌ على القول بالمفهوم والقياس، وتقديمهما على العموم، والأمر بعد الحظر، وقول الصحابي، والاحتجاج بالمراسيل، وشرع ما قبلنا، وأضعاف ذلك.

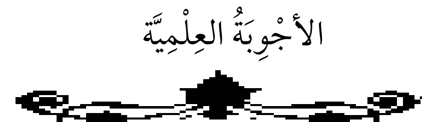
فإن قالوا: اللباب ما لا يجوز التَّعبد فيه إلا بأمرٍ واحدٍ معيَّن، والقشر بخلافه.

قلتُ: هذا أفسد من الأول، فإنَّ الفروع التي يعدونها قشوراً لا يجوز التَّعبد فيها إلا بالمشروع على لسان رسول الله ﷺ.

فإن قالوا: اللباب ما يجوز أن يُعلم من غير تقديم ورود الشرع، والفرع بخلافه.

قلت: هذا الفرق في غاية الفساد، فإنَّ أكثر المسائل التي يسمّونها لباباً لم تُعلم إلا بعد ورود الشرع؛ كاقتضاء الأمر للوجوب، والنهي للتحريم، بل أكثر مسائل التوحيد لم تعلم إلا بالسمع والنَّقل الصحيح، فجواز رؤية الربّ تبارك وتعالى يوم القيامة، وأكثر مسائل المعاد، ومسائل القبر، وعذابه ونعيمه، وغير ذلك ممَّا لا يعلم قبل ورود الشرع.

فإن قيل: اللباب ما يحرُم الخلاف فيه، والقشر ما لا يحرم الخلاف فيه.



قلت: وهذا فرقٌ باطلٌ؛ لأنَّ الخلاف شرٌّ كلُّه، واستصغار بذرة الخلاف لا يقرّه العقلاء؛ لأنَّها إن تُرِكت نمَّت، واستفحلت، فكانت شرَّاً مستطيراً.

٢ – لولا القشر لفسد اللباب.

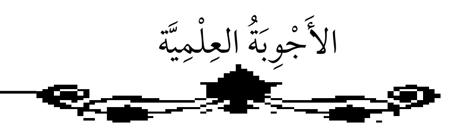
أنَّ هذا التفريق الموهوم، والتقسيم المزعوم، يخالف ضرورات العقل، فلولا القشر؛ لفسد اللباب، وهذا مشاهدٌ في خلْقِ الله جميعاً، إذ جعل ربك القشر حمايةً للباب من الأمور الضارَّة، والله غالبٌ على أمره، ولكنَّ أكثر الناس لا يعلمون.

٣ – الارتباط بين الظاهر والباطن.

من المعلوم ضرورةً في الحسِّ والتجربة أنَّ الظاهر جُعل على الباطن دليلاً إن خيراً فخير، وإن شرَّاً فشرٌّ، وإن كان ذلك ممَّا لا يراه الإنسان في نفسه، ولكن قد يراه في غيره.

قال شيخ الإسلام: وهذا أمر يشهد به الحس والتجربة حتى إن الرجلين إذا كانا من بلد واحد ثم اجتمعا في دار غربة كان بينهما من المودة والائتلاف أمر عظيم، وإن كانا في مصرهما لم يكونا متعارفين أو كانا متهاجرين؛ وذلك لأنّ الاشتراك في البلد نوع وصف اختصا به عن بلد الغربة.

بل لو اجتمع رجلان في سفر أو بلد غريب وكانت بينهما مشابهة في العمامة أو الثياب أو الشعر أو المركوب ونحو ذلك لكان بينهما من الائتلاف أكثر مما بين غيرهما.



وكذلك تجد أرباب الصناعات الدنيوية يألف بعضهم بعضاً ما لا يألفون غيرهم، حتى إن ذلك يكون مع المعاداة والمحاربة إما على الملك وإما على الدين، وتجد الملوك ونحوهم من الرؤساء وإن تباعدت ديارهم وممالكهم بينهم مناسبة تورث مشابهة ورعاية من بعضهم لبعض ا.هـ نقلاً عن "حجاب المرأة المسلمة" لشيخنا (١٠٦).

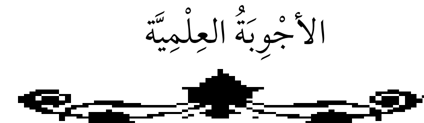
وهذا أمرٌ شرعي أيضاً، فقد ورد من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (فإنَّ في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإن فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب).

وعن قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يسوي صفوفنا، حتَّى كأنما يسوي بها القداح، حتَّى رأى أنَّا قد عقلنا عنه، ثم خرج يوماً حتى كاد أن يكبِّر ، فرأى رجلاً بادياً صدره من الصفِّ فقال: (عباد الله لتسوُّنَّ صفوفكم أو ليُخالفن الله بين وجوهكم) وفي روايةٍ (قلوبكم).

وروي عن عبد الله بن مسعود (لا يشبه الزيُّ الزيَّ حتى تشبه القلوبُ القلوبَ).

فإذا كان الأمر كذلك، فإنَّ الظاهر الذي يسمونه (قشراً) له تأثيرٌ على الباطن الذي يسمونه (لُباباً) ا.هـ

* وقال –حفظه الله (ص:٥٥-٦١): الآثار السيئة لتقسيم الإسلام إلى قشر ولباب: إنَّ نظرية القشور واللباب التي يدندن حولها كثيرٌ من المنتسبين للإسلام بدعةٌ جاهليَّة، تأبَّطت شروراً، منها:



١ – التَّفريق بين مسائل الإيمان والأحكام العمليّة في مصادر التَّلقي وأوجه الاستدلال.

قال ابن قيم الجوزية –رحمه الله: إن هذه الأخبار لو لم تفد اليقين فإن الظن الغالب حاصل منها ، ولا يمتنع إثبات الأسماء والصفات بها كما لا يمتنع إثبات الأحكام الطلبية بها، فما الفرق بين باب الطلب وباب الخبر بحيث يحتج بها في أحدهما دون الآخر؟

وهذا التفريق باطل بإجماع الأمة ، فإنها لم تزل تحتج بهذه الأحاديث في الخبريات العلميات كما تحتج بها في الطلبيات العمليات ، ولا سيما والأحكام العملية تتضمن الخبر عن الله بأنه شرع كذا، وأوجبه ورضيه ديناً ، فشرعه ودينه راجع إلى أسمائه وصفاته.

ولم تزل الصحابة والتابعون وتابعوهم وأهل الحديث والسنة يحتجون بهذه الأخبار في مسائل الصفات والقدر والأسماء والأحكام ، ولم ينقل عن أحد منهم البتة أنه جوز الاحتجاج بها في مسائل الأحكام دون الأخبار عن الله وأسمائه وصفاته.

أين سلف المفرقين بين البابين؟

نعم؛ سلفهم بعض متأخري المتكلمين الذين لا عناية لهم بما جاء عن الله ورسوله وأصحابه ، بل يصدون القلوب عن الاهتداء في هذا الباب بالكتاب والسنة وأقوال الصحابة ، ويحيلون على آراء المتكلمين ، وقواعد المتكلفين ، فهم الذين يعرف عنهم التفريق بين الأمرين ، فإنهم قسموا الدين إلى مسائل

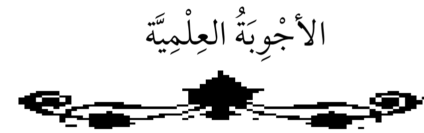
علمية وعملية وسموها أصولاً وفروعاً ا.هـ مختصر الصواعق المرسلة (٢/ ٤١٢-٤١٣).

٢ – بلبلة أفكار المسلمين، وإدخالهم في دوامة الاهتمامات التي لا أصل لها في دين الله بهذا الاعتبار، بل تمتد جذورها إلى المغضوب عليهم والضالين، فلا هم أدركوا الأهم، وضاع منهم المهم، فصار أمرهم إلى: تفرّق، وتشتّت، وضياع.

وهذا لا ينفي ترتيب الأمور، ومعرفة نقطة البداية التي ينبغي على كلِّ داعٍ إلى الله أن يمرَّ بها، وكيف لا يكون ذلك كذلك ورسول الله ﷺ حدَّها عندما أرسل معاذاً داعياً إلى الله –ثم ذكر الحديث– إلى أن قال:

وهكذا: حدَّد رسول الله ﷺ نقطة البداية، وخطوة الانطلاق للدعاة، حتَّى يقاتل آخرهم الدَّجال: العقيدة أوَّلاً، ورأس الأمر التوحيد؛ لأنَّ معظم الشرور والنكبات التي أصابت الأمة الإسلامية، وأشد البلايا التي حلَّت بها، كانت بسبب انتكاسة العقيدة في النفوس، وبسبب فساد المفاهيم للمبادئ والأمور الأساسية، وبسبب النِّزاع الذي وقع في الإيمان.

أي أنَّني لا أقول: بأنَّه لا تكون أولويات في الدعوة إلى الله، ولكن الدَّعوة إلى الله سلسلة مترابطة حلقاتها، والأحداث الجسام التي حاقت بالأمة الإسلامية لا تجعلنا نفرِّق بين شعائر الله، ولا تدعونا إلى تفضيل بعضها على بعضٍ؛ استخفافاً، فنقول كما يهرف الكثيرون: هذه أمورٌ سطحية، أو فرعية، أو



خلافية، أو هامشية، يجب أن نتركها، ونركِّز جهودنا على الخطْب العظيم، والخطر الجسيم، الذي فرَّق صفَّنا، وشتَّت شملنا !.

وهذا أصلٌ هامٌّ يجب على الدُّعاة الإسلاميين فهمه وهضمه، وإلا كان عملهم استنبات بذور في الهواء، فهل تؤتي أكلها؟!.

٣ – ترك الترجيح في مواطن الخلاف بدعوى أنَّ هذه أمورٌ خلافية فرعيَّة.

إنَّ ترك التَّحقيق العلمي بدعوى أنَّ هذه الأمور خلافية، وإهمال إنكار المنكر بدعوى أنَّ هذه الأمور فرعيَّة: فاسدٌ من أصوله، ومن عميق جذوره؛ لأنَّ الخلاف امتدَّ حتَّى شمل الأصول العقائدية، ولقد امتدَّ إلى معنى كلمة التوحيد.

فعامَّة الناس يقولون: معناها: لا موجود إلا الله.

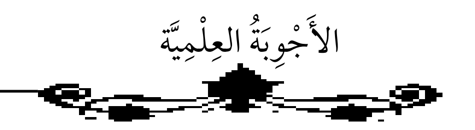
وكثيرٌ من الدُّعاة يقولون: معناها: لا خالق ولا رازق ولا حاكم إلا الله.

وبعضهم يقول: لا معبود في الوجود إلا الله.

والمعنى الحق: لا معبود بحقٍّ إلا الله.

وكثيرٌ من المشايخ يجيزون الاستعانة بغير الله، والطَّلب من الأموات، وكل ذلك يُنافي شهادة التوحيد.

٤ – الاستخفاف بشعائر الله وعدم تعظيم حرماته.



إنَّ التفريط في الأمر اليسير يؤدِّي إلى التهاون في الأمر الكبير ومن ثمَّ الاستخفاف بأمر ونهي العليم الخبير؛ لأنَّ هذه البدعة: وسيلة للتقرّب من المناهي، فلا يدع القائل لها ما لا بأس به حذراً مما به بأسٌ.

وقتل للغضب لله إذا انتهكت محارمه، فلا يجد القائل في قلبه حزناً وكسرة إذا عُصِيَ الله تعالى في أرضه.

واسترسال مع الرخص إلى حد الخروج عن المنهج الوسط.

وعلة تضعف الانقياد والتسليم لأمر الله.

قال ابن قيم الجوزية رحمه الله: ومنها -أي الألفاظ المكروهة-: أن يسمي أدلة القرآن والسنة ظواهر لفظية ومجازات؛ فإن هذه التسمية تسقط حرمتها من القلوب، ولا سيما إذا أضاف إلى ذلك تسمية شبه المتكلمين والفلاسفة قواطع عقلية، فلا إله إلا الله كم خصل بهاتين التسميتين من فساد في العقول والأديان والدنيا والدين ا.هـ زاد المعاد (٢/ ٤٧٢).

٥ – جعل ميراث الأمة الإسلامية حقلاً للتجارب، تعبث به أقلام وعقول المفتونين بالثَّقافة الغربية، تحت راية تقديم الأهم على المهم، ليؤدي إلى سلخ الأمة من مصدر عَزّتها، وينبوع قوتها، لأنَّ كثيراً من عرى الإسلام؛ مما يترتب عليه إقامة حكم الله في الواقع، وبقاء الإسلام قويّاً عزيزاً وقد مضى شيئاً من ذلك.

٦ – ترك إنكار المنكر، والتحذير من الشرِّ، وبيان سبيل المجرمين، بدعوى أنَّ هذه الأمور فرعيَّة، أو سطحيَّة، أو هامشيَّة، أو خلافيَّة.

وحسبكم هذه القطاف؛ لتدلّ على فساد هذا الكلام الجُزاف، الذي لم يؤسَّس على الهدى والإنصاف ا.هـ

* وقال –وفَّقه الله وحفظه– (٦٣-١٠٦): نبَّه كثيرٌ من العلماء على خطورة هذه البدعة الزَّاعمة أنَّ الإسلام: قشر ولُباب، منهم:

١ – عزّ الدّين بن عبد السلام المتوفى سنة ٦٦٠هـ.

قال رحمه الله: لا يجوز التعبير عن الشريعة بأنَّها قشر، مع كثرة ما فيها من المنافع والخيور، وكيف يكون الأمر بالطاعة والإيمان قشراً؟! وأنَّ العلم الملقب بعلم الحقيقة جزء، ومن أجزاء علم الشريعة، ولا يُطلِق مثلَ هذه الألقاب إلَّا غبي شقي قليل الأدب.

ولو قيل لأحدهم: إنَّ كلام شيخك قشور؛ لأنكر ذلك غاية الإنكار، ويطلق لفظ القشور على الشريعة! وليست الشريعة إلا كتاب الله وسنة رسوله، فيُعزَّر هذا الجاهل تعزيراً يليق بمثل هذا الذَّنب ا.هـ الفتاوى (ص:٧١-٧٢).

٢ – شيخ الإسلام ابن تيمية المتوفى سنة ٧٢٨هـ.

قال رحمه الله: إن المسائل الخبرية قد تكون بمنزلة المسائل العملية، وإن سميت تلك مسائل أصول، وهذه مسائل فروع، فإن هذه تسمية محدثة قسَّمها طائفة من الفقهاء والمتكلمين، وهو على المتكلمين والأصوليين أغلب لا سيما إذا تكلموا في مسائل التصويب والتخطئة ا.هـ مجموع الفتاوى (٦/ ٥٦).

–ثم ذكر حفظه الله كلاماً لشيخ الإسلام قد سبق ذكره في الكلام على تقسيم الدين إلى أصول وفروع–.

٣ – العلامة ابن قيم الجوزية المتوفى سنة٧٥١هـ. –ثمَّ ذكر له كلاماً طويلاً قد سبق ذكره في الكلام على تقسيم الدين إلى أصول وفروع–.

٤ –علي بن عبد الكافي السُّبكي المتوفى سنة٧٥٦هـ

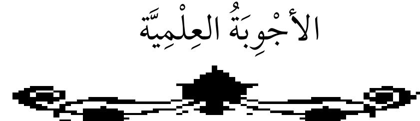
قال رحمه الله: وقولهم من أهل القشور، إنَّ أراد به ما الفقهاء عليه من العلم ومعرفة الأحكام فليس من القشور بل من اللب، ومن قال عليه: إنَّه من القشور استحقّ الأدب، والشريعة كلُّها لباب.

وكونهم وصلوا إلى ما لم يصل إليه الفقهاء، فليعلم أنَّ من وصل لا يقول هذا الكلام، وكل من الفقهاء والصادقين واصلٌ إلى ما قسم له من ميراث النبوة، وكثيرٌ ممن سواهم لم يصل إلى شيءٍ.

وكلٌّ يَدَّعي وصال ليلى   وليلى لا تقرّ لهم بذلك ا.هـ فتوى ملحقة بـ "الكلام على مسألة السماع" لابن قيم الجوزية (ص:٤٥٢).

٥ –الشيخ صالح بن المهدي المقبلي المتوفى سنة١١٠٨هـ.

قال رحمه الله: ومنها ما هو بدعةٌ محضة منتمية إلى علم الأوائل، كالكلام على ماهية الصفات، حتى ساعد بعض أكابر المتكلمين على نفي العلم بالجزئيات، وغير ذلك من البليات، وما لم يكن بهذه المثابة فانتزاعه وجعله فناً مخصوصاً نشأ عنه تفرّق المسلمين، وبلايا لا تحصى من أعظم البدع، فإذا كان الأول قد غلط ولم يشعر بما سيترتَّب فما لمن رأى العظائم تثور من تلك العقائد لم ينته عنها؟ ثمَّ إذا كان عذره عذر الأوَّل لِمَ لمْ ينته بعده عنها؟ وهذا شيءٌ قد تسلينا عنه، إنما ننبِّه على بعض مفاسدها:



مجتهدٌ مصيبٌ في الفروع، إنما الشأن في الأصول من لم يعرفها فدينه منثلم، فيستقر هذا عند الطالب وهو يعلم من نفسه أَنَّه لم يفطر على تحقيق تلك المباحث ولا يحمل نفسَه أن يقال فيه أنَّ دينه منثلم، سيما وقد يكون ذلك الثلم في أفواه بعضهم يبلغ الكفر ا.هـ العلم الشامخ في تفضيل الحق على الآباء والمشايخ (ص:٥٢٩).

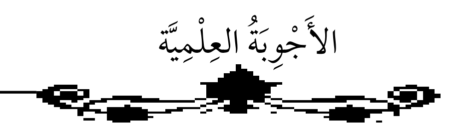
٦ – الشيخ عبد الحميد بن باديس المتوفى سنة١٣٥٩هـ. –ثم ذكر له كلاماً مختصراً طيباً–.

٧ – شيخنا محمد ناصر الدِّين الألباني (معاصر).

قال ﵀ بعد تخريجه لحديث: (إذا لبست نعليك فابدأ باليمنى، و إذا خلعت فابدأ باليسرى، ولتكن اليمنى أول ما تنتعل ، و اليسرى آخر ما تحفى ، و لا تمش في نعل واحد ، اخلعهما جميعا أو البسهما جميعاً):

اعلم أن ما في هذا الحديث من الأدب في الانتعال ، و التفريق بين البدء به والخلع ، هو مما غفل عنه أكثر المسلمين في هذا الزمان لغلبة الجهل بالسنة ، و فقدان المربين للناس عليها ، وفيهم بعض من يزعم أنه من الدعاة إلى الإسلام ، بل و فيهم من يقول في هذا الأدب : إنه من القشور ، و توافه الأمور ! فلا تغتر بهم أيها المسلم ، فإنهم – والله – بالإسلام جاهلون ، و له معادون من حيث يشعرون أو لا يشعرون ، و قديماً قيل : من جهل شيئا عاداه .

ومن عجيب أمرهم أنهم يطنطنون في خطبهم و محاضراتهم بوجوب تبني الإسلام كلاً لا يتجزأ ، فإذا بهم أول من يكفر بها إليه يدعون ، و إن ذلك لبيِّن



في أعمالهم و أزيائهم ، فتراهم أو ترى الأكثرين منهم لا يهتمون بالتزيي بزي نبيهم ﷺ ، وإنما بالتشبه بحسَنِ البنا و أمثاله : لحية قصيرة ، و كرافيت (عقدة العنق) ، و بعضهم تكاد لحيتهم تكون على مذهب العوام في بعض البلاد : " خير الذقون إشارة تكون " ! مع تزييه بلباس أهل العلم ، العمامة و الجبة ، و قد تكون كالخرج ، و طويلة الذيل كلباس النساء ! فإنا لله و إنا إليه راجعون ا.هـ سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢٥٧٠).

٨ – الشيخ محمد إبراهيم شقرة (معاصر). –ثم ذكر له كلاماً طويلاً مفيداً–.

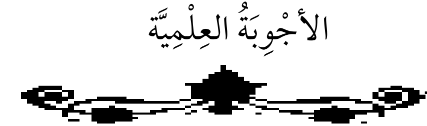
٩ – الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد (معاصر).

قال رحمه الله: أصول وفروع : هذا التفريق ليس له أصل لا عن الصحابة رضي الله عنهم ولا عن التابعين لهم بإحسان ، ولا أئمة الإسلام ، وإنما هو مأخوذ من المعتزلة ، وأمثالهم من أهل البدع ، وعنهم تلقاه بعض الفقهاء .

وهو تفريق متناقض ، ولا يمكن وضع حد بينهما ينضبط به .

ولشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ، وابن القيم رحمه الله مباحثُ مهمةٌ في نقض هذا التفريق . بما خلاصته : أنه انتشر في كلام المتقدمين أن أحكام الشريعة منقسمة إلى أُصول وفروع ، ويقصدون بالأصول : ما يتعلق بالعقيدة ، وما عُلِم من الإسلام بالضرورة ، وبالفروع : فقه أحكام أفعال العبيد .

وابن تيمية رحمه الله لا يرتضي هذا التقسيم ، ويراه محدثاً من قبل المعتزلة وأمثالهم من أهل البدع ، وأن الاعتقاد لموجب النصوص وما تمليه الشريعة في



مساقٍ واحدٍ ، من حيث لزوم الاعتقاد وداعي الامتثال . وأن التقسيم منقوضٌ بعدم الحدِّ الفاصل بينهما .

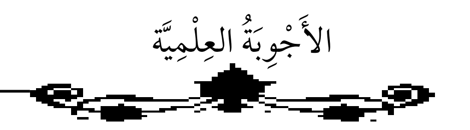
وقد أنحى المقبلي في : "العلم الشامخ" على من قال : الخلاف في الفروع سهلٌ ، وما جرى مجرى ذلك . مما تجده منتشراً اليوم .

بل تحول إلى مقولة هزيلة بحيث أوردوا قولهم : هذا قشور وذلك لباب . ويعنون بالقشور : المسائل الفقهية الدائرة في محيط الاستحباب ، أو الكراهة ، ونحو ذلك من أُمور التحسينات ، والحاجيات ، وهذا النبزُ إحياء لما لدى المتصوفة ، من تسميتهم أهل الفقه باسم : أهل القشور ، وأهل الرقص من الصوفية : أهل الحقيقة ، فانظر كيف أن الأهواء يجر بعضها بعضاً.

ونجد ابن القيم في : "إعلام الموقعين" يسوق العتاب على لسان السلف لهؤلاء الذين إذا سُئِل الواحد منهم عن حكم فقهي قال : هذا سهل . يقصد به تخفيف شأنه ، والله تعالى يقول : ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً﴾ فتنبه . والله أعلم.

ولشيخ الإسلام ابن تيمية في ذلك مبحث مبسوط في فتاويه (٢٣/ ٣٤٦ – ٣٤٧)، وفي المسائل الماردينية (ص: ٦٥ – ٧٠).

وابن تيمية رحمه الله كثيراً ما يستعمل هذا التعبير ، فمراده إذاً من إنكار التفريق ترتيب التكفير ، وعليه : فإنَّ المعين لا يكفر إلا بعد قيام الحجة عليه ، فتنبه ، والله أعلم ا.هـ معجم المناهي اللفظية (ص:٥٤-٥٦).



وقال رحمه الله: تسمية فروع الدِّين قشور. وأركانه: لُباب. وهذا من فاسد الاصطلاح وأعظمه خطراً، فتوقَّه ا.هـ معجم المناهي اللفظية (٢٦٤) ا.هـ. نقلاً مِن كلام الشيخ سليم باختصارٍ وتصرُّفٍ يسير.

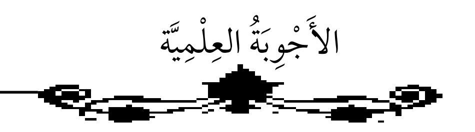
* **الوجه الثَّامِن:**

-ذِكْرُ بعضِ البِدَعِ والمعاصِي التي تُسلِّطُ الأعداءَ على المسلمِين:

مِنَ البِدَعِ والمعاصي التي تسلِّط الأعداء على المسلمِين: الشِّرك بالله، والتفرُّق والتَّحزُّب، والجمعيَّات الحزبيَّة، والولاء والبراء الضيِّق، والغلو، والتَّعصُّب بالباطل، والتَّقليد، والهوى، وبغض أهل الحديث، والطَّعن في النَّافحين الذَّابين عنِ المنهج السَّلفي، ومجالسة أهل البدع والأهواء، والإحداث في دين الله تعالى، وإيواء المُحْدِثين، وكتمان الحقّ، والتلبيس، والتَّهوين مِن منهج الجرح والتعديل، وتهميش الردود العلميَّة، ونصْب العداء على مَن أنكر المنكرات، والغيبة، والنميمة، والسَّب المحرَّم، واللعن، والشماتة بالمستقيمين، والاحتقار، والسُّخريَّة، والسَّعي بالوشايات بين مشايخ السنَّة ودعاتها وطلابها، والكذب، والفجور في الخصومة، والتجسُّس، والرَّمي بالباطل، والحَسَد، والكِبر، والعُجب، والغُرور، والرياء، والإقبال على الدُّنيا، والركون إليها، والتعلُّق بالمال، وحبُّ السُّلطة والجاه والسُّمْعَة، والربا، والحِيَل المحرَّمة، والزنا، واللواط، والنَّظر إلى النساء الأجنبيات، وسماع الأغاني، والتطفيف، والغشّ، والخيانة، والخديعة، والغَدْر، وترك الجهاد في سبيل الله تعالى، والتَّشبُّه

بالكفَّار، وغيرها مِنَ المعاصي؛ فإنَّها كلّها تسلِّط الأعداء على المسلمين، نسأل الله أن يعافينا وسائر المسلمين مِنها.

❊ ❊ ❊ ❊ ❊



(الجَواب عَلَى شُبْهَةِ: أَنَّ كُتُبَ المَنهَجِ تُفرِّقُ وَلاَ تَجمَعُ، وَتُنفِّرُ وَلاَ تَجلِبُ، وَنَحوِ ذَلِكَ)

هذه مِنَ الشُّبهات المنتشرة بين النَّاس، ويُكثِرُ أهلُ البِدَعِ والأهواء والمميِّعون مِن ترويجها، ودسّها في أوساطِ المبتدئين في الطَّلَبِ خصوصاً، وهي شبهةٌ فاتِنةٌ، وحجَّةٌ باطلةٌ مِن عِدَّةِ وجوهٍ:

*** الوجه الأول:**

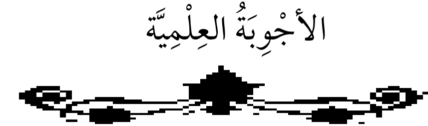
-البِدَع والأهواء هي التي تفرِّق وتُنفِّر؛ فإنَّها مقرونةٌ بذلِكَ:

إنَّ الذي يُنفِّر ولا يجلِب، ويُفرِّق ولا يجمع هي البدع والأهواء، وأهلُها؛ فإنَّ البِدْعَةَ مقرونَةٌ بالفُرقةِ.

❋ قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: **والبدعة مقرونة بالفُرْقة** كما أنَّ السنة مقرونة بالجماعة، فيُقال: أهل السنة والجماعة، كما يُقال: **أهل البدعة والفرقة** ا.هـ. "الاستقامة" (ص:٣٧).

❋ وقال الإمام الشاطبي رحمه الله: **والفُرقة من أخصّ أوصاف المبتدعة**؛ قال الله سبحانه وتعالى ﴿**إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍ**﴾ [الأنعام:١٥٩] ا.هـ. "الاعتصام" (١/ ٢٠٨).

❋ وقال الإمام الألباني رحمه الله كما في "الفتاوى الكويتية": فعدم الالتفات إلى ما كان عليه السلف الصالح يعود بالناس بعد أن اتفقوا إلى الفرقة التي تباعد



بينهم، كما باعدت من قبل بين كثير من المسلمين، فجعلتهم شيعاً وأحزاباً ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ ا.هـ. "الفتاوى الكويتية" جمع عمرو عبد المنعم (ص:٢٢-٢٣).

* وقال شيخنا العلامة يحيى الحجوري حفظه الله: مِن بُنُود الحزبيين السَّعي بالتَّفريق بين السلفيين ا.هـ. "المجموع الثمين" (ص:١٠٦).

-البِدَعُ والأهواء تدعو إلى السَّيف:

قلتُ: فإذا حصَلَتِ الفُرقة ازدادت البدع والمعاصي وانتشرت، وحصل البغي والاعتداء، ولربَّما حَصَلَ القتال.

* قال الإمام التابعي الجليل أبو قِلابة الجرمي رحمه الله: ما ابتدع رجلٌ بدعة إلا استحلَّ السيف ا.هـ. رواه الدارمي في "مقدمة سننه" رقم (١٠٠) وهو صحيح إليه.

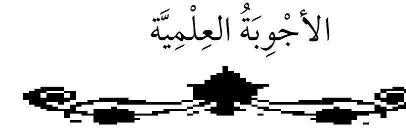
* وقال أيضاً رحمه الله أنه قال: إن أهل الأهواء أهل الضلالة، ولا أرى مصيرهم إلا النار، فجرِّبهم فليس أحدٌ منهم ينتحل قولاً، أو قال حديثاً فيتناهى به الأمر دون السيف، وإنَّ النفاق كان ضروباً، ثم تلا ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [التوبة:٧٥]، ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُوا۟ مِنْهَا رَضُوا۟ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا۟

مِنۡهَآ إِذَا هُمۡ يَسۡخَطُونَ ﴿٥٨﴾ [التوبة:٥٨]، ﴿ وَمِنۡهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌۚ قُلۡ أُذُنُ خَيۡرٍ لَّكُمۡ ﴾ [التوية:٦١]، فاختلف قولهم واجتمعوا في الشَّكِّ والتكذيب، وإن هؤلاء اختلف قولهم واجتمعوا في السيف، ولا أرى مصيرهم إلا النار.

قال حمد: ثم قال أيوب عند هذا الحديث أو عند الأول: وكان والله من الفقهاء ذوي الألباب، يعني أبا قلابة ا.هـ. رواه الدارمي أيضاً (١٠١)، وإسناده صحيح.

* وقال الإمام ابن حزم رحمه الله: واعلموا –رحمكم الله– أنَّ جميع فِرَقِ الضَّلالِة لم يجر الله تعالى على أيديهم خيراً، ولا فتح بهم من بلاد الكفار قرية، ولا رفع للإسلام راية، ومازالوا يسعون في قلب نظام المسلمين، ويفرقون كلمة المؤمنين، ويسلّون السيف على أهل الدِّين، ويسعون في الأرض مفسدين ا.هـ. "الفصل في الملل والأهواء والنِّحَل"(٣/ ١٦٦-١٦٧).

* وقال الإمام البربهاري رحمه الله: واعلم أن الأهواء كلَّها رديّةٌ تدعو كلّها إلى السيف ا.هـ المراد. "شرح السنة"(ص:١٢٠).

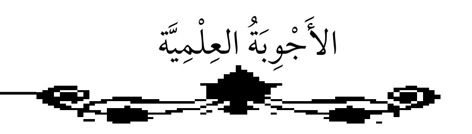


-مِن صُورِ التَّفرُّق والتَّحزُّب:

قلتُ: وبيَّن العلماء أنَّ مِن صوَرِ التَّفرُّق والتَّحزُّب هو نصب شخصٍ يوالى ويُعادى مِن أجلِهِ، فمَن وافَقَه ولو على باطلٍ فهو الصالح، ومَن خالَفه ولو بحقٍّ فهو الفاسد.

* قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: ومَن نصبَ شخصاً كائناً مَن كان فوالى وعادى على موافقته في القول والفِعْلِ فهو مِنَ الذين فرَّقوا دينَهم وكانوا شِيَعَاً، وإذا تفقَّه الرجل وتأدَّب بطريقة قومٍ من المؤمنين مثل اتباع الأئمة والمشايخ فليس له أن يجعل قدوته وأصحابه هم العيار، فيوالي من وافقهم ويعادي من خالفهم، فينبغي للإنسان أن يعوِّد نفسه التَّفقُّه الباطن في قلبه، والعمل به، فهذا زاجرُ وكمائنُ القلوب تظهر عند المِحَنِ ا.هـ. "مجموع الفتاوى" (٢٠/ ٨-٩).

* وقال رحمه الله: فمن جعل شخصاً من الأشخاص غير رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مَن أحبَّه ووَافَقَهُ كان من أهل السنَّة والجماعة، ومَن خالَفَه كان من أهل البدعة والفرقة -كما يوجد ذلك في الطوائف من اتباع أئمة في الكلام في الدين وغير ذلك-؛ كان من أهلِ البدع والضَّلال والتَّفرُّق ا.هـ. "مجموع الفتاوى" (٣/ ٣٤٧).



قلتُ: بهذا علِمْنَا ما هو الَّذي يُفرِّق ولا يجمع، ويُنفِّر ولا يجلِب، ومَن هو الذَّي ينطبق عليه ذلِكَ.

*** الوجه الثاني:**

-بيان الحقِّ والُمحقِّ والرّدّ على الباطل والُمبطِل هو الذي يجمع ويجلِب:

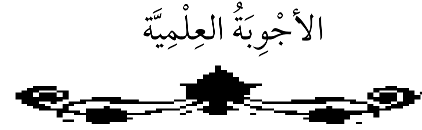
إنَّ مِن أعظَمِ ما يجمع المسلمِين، ويجلبهم إلى الخيرُ هو بيانُ الحقِّ مِنَ الباطل، والُمحقّ مِنَ المبطل، والردُّ على المبطلِين، وعلى الَّذين يسعون بالبِدَعِ والأهواءِ والحزبية في أوساط المسلِمِين؛ بالكتب المنهجيَّة، والرسائل، والدروس، والُمحاضَرات، ولا يقومُ الدِّين إلا بذلِكَ، فإذا لم يحصل ذلِكَ حصلت الفُرقة.

وعلى ذلِكَ أدلَّةٌ مِنَ القرآن والسنَّة سبق ذكرها في صدر الرِّسالةِ، فلتُراجع.

* قال شيخ الإسلام ابنُ تيمية رحمه الله: وإذا كان الكفر والفسوق والعصيان سببُ الشَّر والعدوان، فقد يذنب الرجل أو الطائفة، ويسكت آخرون عن الأمر والنهى؛ فيكون ذلك من ذنوبهم.

وينكر عليهم آخرون إنكاراً منهياً عنه؛ فيكون ذلك من ذنوبهم.

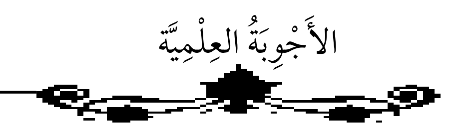
فيحصل التفرق والاختلاف والشرّ، وهذا من أعظم الفتن والشرور قديماً وحديثاً؛ إذ الإنسان ظلومٌ جهولٌ، والظلم والجهل أنواع، فيكون ظلم الأول وجهله من نوعٍ، وظلم كل من الثاني والثالث وجهلهما من نوعٍ آخر وآخر.



ومَن تدبَّر الفتن الواقعة رأى سببها ذلك، ورأى أنَّ ما وقع بين أمراء الأمة وعلمائها ومن دخل في ذلك من ملوكها ومشايخها ومن تبعهم من العامة من الفتن هذا أصلها. يدخل في ذلك أسباب الضلال والغي التي هي الأهواء الدينية والشهوانية، وهى البدع في الدِّين، والفجور في الدنيا، وذلك أنَّ أسباب الضلال والغي البدع في الدِّين، والفجور في الدنيا، وهي مشتركة تعمُّ بنى آدم لما فيهم من الظلم والجهل ا.هـ. "مجموع الفتاوى" (٢٨/ ١٤٢-١٤٣).

* سُئل العلامة الفوزان -حفظه الله-: لقد انتشرت -ولله الحمد- الدعوة إلى منهج السلف والتمسك به، ولكن هناك من يقول: إن هذه الدعوة إنما هي لشقِّ الصف وتمزيقه، **وضرب المسلمين بعضهم ببعض ليشتغلوا بأنفسهم عن عدوهم الحقيقي، فهل هذا صحيح وما هو توجيهكم؟**

فأجاب حفظه الله: **هذا من قلب الحقائق، لأنَّ الدعوة إلى التوحيد ومنهج السلف الصالح تجمع الكلمة، وتوحّد الصَّف**، كما قال الله تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ ﴾؛ **فلا يمكن للمسلمين أن يتَّحِدوا إلا على كلمة التوحيد ومنهج السلف، وإذا سمحوا للمناهج المخالفة لمنهج السلف الصالح تفرّقوا واختلفوا، كما هو الواقع اليوم.**



فالَّذي يدعو إلى التوحيد، ومنهج السلف؛ هو الذي يدعو إلى الاجتماع، والذي يدعو إلى خلافه؛ هو الذي يدعو إلى الفُرقة والاختلاف ا.هـ. "الأجوبة المفيدة على أسئلة المناهج الجديدة "(ص:٨٥).

❋ وسُئل -حفظه الله-: هل التحذير من المناهج المخالفة ودعاتها **يعتبر تفريقًا للمسلمين وشقًا لصفهم ؟**

فأجاب حفظه الله: **التحذير من المناهج المخالفة لمنهج السلف يعتبر جمعًا لكلمة المسلمين لا تفريقًا لصفوفهم، لأنّ الذي يفرّق صفوف المسلمين هو المناهج المخالفة لمنهج السلف** ا.هـ. المرجع السابق (ص:٨١).

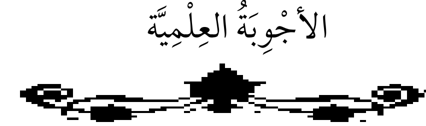
*** الوجه الثالث:**

-الاختلاف حاصلٌ لا محالَة، والعِبرَة بالمحمود مِنْه لا المذموم:

لا بدَّ أن نعلمَ أنَّ الاختلاف حاصلٌ لا محالةَ، والعبرة بِمَن وافقَ الحقَّ ودعا إليه، لا بِمَن خالَفَه، وأعرَض عنْه.

فإنَّ الأمَّة لا تزال مختلفة، إلا مَن رَحِمَ الله، وهم أهلُ الاتِّباع لا الابتِدَاع، وأهل الاجتماع لا الافتراق، وأهل الحقّ لا الباطل.

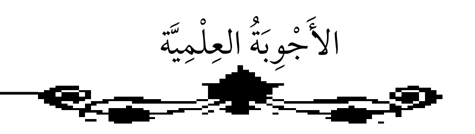
قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ [هود:١١٨-١١٩].



* قال الإمام ابن القيم رحمه الله: **وقوع الاختلاف بين الناس أمر ضروري لا بدَّ منه**؛ لتفاوت إرادتهم وأفهامهم وقوى إدراكهم، **ولكن المذموم بغي بعضهم على بعض وعدوانه** وإلا فإذا كان الاختلاف على وجه لا يؤدي إلى التباين والتحزُّب وكلٌّ من المختلفين قصده طاعة الله ورسوله لم يضر ذلك الاختلاف؛ فإنه أمر لا بدَّ منه في النشأة الإنسانية، **ولكن إذا كان الأصل واحداً، والغاية المطلوبة واحدة، والطريق المسلوكة واحدة**؛ لم يكد يقع اختلاف، وإن وقع كان اختلافاً لا يضر كما تقدم من اختلاف الصحابة؛ فإن الأصل الذي بنوا عليه واحدٌ وهو كتاب الله وسنة رسوله، والقصد واحد وهو طاعة الله ورسوله، والطريق واحد وهو النظر في أدلة القرآن والسنة وتقديمها على **كلِّ قول ورأي وقياس وذوق وسياسة** ا.هـ. "الصواعق المرسلة" (٢/ ٥١٩).

قلتُ: لاحظ إلى قوله: (**إذا كان الأصل واحداً**) يعني: القرآن والسنة لا البدعة والهوى والآراء والأقيسة الباطلة والحزبيَّة، و(**المقصد واحداً**) وهو: طاعةُ الله ورسوله لا طاعة الكبراء والعظماء والمتبوعين، و(**الطريقة المسلوكة واحدة**)، وهي طريقة السَّلف وفهم أدلة القرآن والسنة على فهمهم، لا طريقة الخَلَف وفهم الأدلة على ما يوافق الهوى وأهله.

فالمذموم إذاً؛ هو ما يُخالف الأصلَ، أو المقصد، أو الطريقة المسلوكة؛ وعليه فـ:



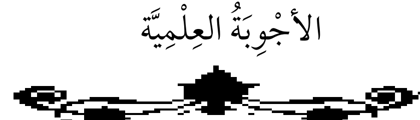
*** الوجه الرابع:**

-عود اللوم على أهل البدع وأصحاب المنكرات لا على الناصح:

لا يَعود اللُّوم فِي تفرُّق المسلمِينَ واختلافِهِم على مَن يكتب فِي إنْكارِ مثل هذه البِدَع والآراء والأقيسة الباطلة والتَّحزُّبات، ولا يُقال له: لا تنشر كتب المنهج والردود على أهل البدع والأهواء والدُّخلاء، بل العكس.

❊ قال الإمام ابن باز رحمه الله: أما بقاء كل طائفة على ما لديها من باطل، وعدم التسليم للطائفة الأخرى فيما هي عليه من الحقِّ؛ فهذا هو المحذور والمنهي عنه **وهو سبب تسليط الأعداء على المسلمين، واللوم كل اللوم على من تمسك بالباطل وأبى أن ينصاع إلى الحق، أمَّا من تمسَّك بالحقِّ ودعا إليه وأوضح بطلان ما خالفه؛ فهذا لا لوم عليه، بل هو مشكورٌ، وله أجران أجر اجتهاده وأجر إصابته للحق** ا.هـ. "مجموع فتاوى ومقالات متنوعة" (٣/ ٦٠).

❊ وقال العلامة أحمد النجمي رحمه الله: هذا الرجل الذي جاء ونصح فعل خيراً، وأحسَنَ، فهل يُقال إنَّه أحدث فتنةً ؟!؛ **كذلك أيضاً مَن ينبِّه الناس الآن ويُنبِّه طلاب العلم على مَن يريد بهم شرَّاً ... إنَّما هم ناصحون لإخوانِهِم...** هؤلاء الذين يقولون هذا القول: **قولهم باطلٌ؛ وخاطئ، وهم أصحاب الفتنة؛ الذين يريدون السكوت على الباطل حتَّى يستفحل الأمر** ... ولا شكَّ أنَّ الذي ينبِّه الناس على الشرِّ قبل وقوعه؛ **هذا ناصحٌ لا داعية فتنة**، وإنَّ الذي يقول هذا



الكلام: قد قلَبَ الحقيقة؛ **وإنَّما الحقيقة أنَّ الفتنة هي السكوت على مثل هذا العمل حتَّى يستفحل الأمر** ا.هـ. المراد مِن "الفتاوى الجلية عن المناهج الدَّعوية" (ص:٣٨-٣٩).

* وسُئِلَ ﷺ: ما رأيكم فيمن يقولون: لا ينبغي للعلماء أن يردَّ بعضهم على بعضٍ في هذا الوقتِ؛ **لأنَّ هذا يقوِّي شوكةَ الأعداء ويشقُّ الصفَّ** ؟!.

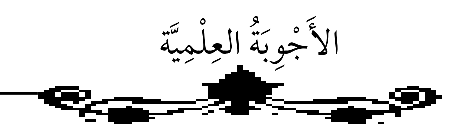
فأجاب: **هذا قولٌ باطلٌ، وادِّعاءٌ ممقوتٌ، يقصد به تعطيل الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر، ويقصد به إلغاء بيان الحقّ** ... ا.هـ. "الفتاوى الجلية" (ص:٢٠).

*** الوجه الخامِس:**

-إيقاف الكتب المنهجية والردود العلمية مِنَ السَّعي لتفريق المسلمين:

إنَّ الذي يفرِّق الجماعة، ويُنفِّر هو الَّذي يسْعى لإبطال الكتُب المنهجيَّة والردود العلميَّة، ويجعل النَّاس لا يميِّزون بين الحقِّ والباطل، والمُحقّ والمُبطِل، ويجعلهم شيعاً وأحزاباً.

وأيضاً: الاجتماع لا يكون إلا على الكتاب والسنَّة على فهم وسير وطريقة السَّلف الصالح، فمَن حثَّ على ذلِكَ، وذبَّ عنه، بالكتابةِ والخطابَةِ والدُّروس فهو الَّذي يجمع ويجلِب، وأمَّا مَن جعل النَّاس شيعاً وأحزاباً ولم ينْهَ، ولم يكتب، ولم يردّ، فهو المتعاون على تفرقة المسلمين وتنفيرهم، نسأل الله العافية.



بهذا عِلِمْنَا أَنَّ المُفرِّق هو المبتدع والمتحزِّب والمُخذِّل عن النِّفاح والذَّب عن المنهج السَّلفي.

* سُئل العلامة الفوزان -حفظه الله-: لقد انتشرت -ولله الحمد- الدعوة إلى منهج السلف والتمسك به، ولكن هناك من يقول: إن هذه الدعوة إنما هي لشقِّ الصف وتمزيقه، **وضرب المسلمين بعضهم ببعض ليشتغلوا بأنفسهم عن عدوهم الحقيقي، فهل هذا صحيح وما هو توجيهكم؟**

فأجاب حفظه الله: هذا من قلب الحقائق، لأنَّ الدعوة إلى التوحيد ومنهج السلف الصالح تجمع الكلمة، وتوحّد الصَّف، كما قال الله تعالى: ﴿ **وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ** ﴾، وقال تعالى: ﴿ **إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾** ﴾؛ فلا يمكن للمسلمين أن يتَّحِدوا إلا على كلمة التوحيد ومنهج السلف، وإذا سمحوا للمناهج المخالفة لمنهج السلف الصالح تفرّقوا واختلفوا، كما هو الواقع اليوم.

فالَّذي يدعو إلى التوحيد، ومنهج السلف؛ هو الذي يدعو إلى الاجتماع، والذي يدعو إلى خلافه؛ هو الذي يدعو إلى الفُرقة والاختلاف ا.هـ. "الأجوبة المفيدة على أسئلة المناهج الجديدة "(ص:٨٥).

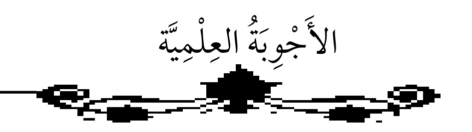
* وسُئل -حفظه الله-: هل التحذير من المناهج المخالفة ودعاتها **يعتبر تفريقًا للمسلمين وشقًا لصفهم ؟**

فأجاب حفظه الله: التحذير من المناهج المخالفة لمنهج السلف **يعتبر جمعًا لكلمة المسلمين لا تفريقًا لصفوفهم، لأنّ الذي يفرّق صفوف المسلمين هو المناهج المخالفة لمنهج السلف** ا.هـ. المرجع السابق (ص:٨١).

* وقال –حفظه الله-: لا يمكن الاجتماع مع اختلاف المنهج والعقيدة، وخير شاهد لذلك: واقع العرب قبل بعثة الرسول ﷺ، حيث كانوا متفرِّقين متناحرين، فلما دخلوا في الإسلام، وتحت راية التوحيد، وصارت عقيدتهم واحدة، ومنهجهم واحداً؛ اجتمعت كلمتهم، وقامت دولتهم، وقد ذكّرهم الله بذلك في قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾ [آل عمران:١٠٣].

وقال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [الأنفال:٦٣].

والله لا يؤلِّف بين قلوب الكفرة والمرتدّين والفِرق الضالة أبداً، إنما يؤلِّف الله بين قلوب المؤمنين الموحّدين، قال تعالى في الكفّار والمنافقين المخالفين لمنهج الإسلام وعقيدته: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾﴾ [الحشر:١٤]، وقال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ



ﰿ [هود:١١٨-١١٩]، ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ وهم أهل العقيدة الصحيحة، والمنهج الصحيح؛ فهم الذين يسلمون من الاختلاف.

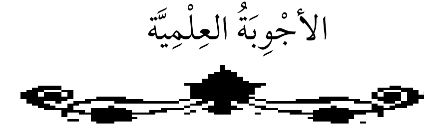
فالذين يحاولون جمع الناس مع فساد العقيدة واختلاف المنهج يحاولون مُحالاً؛ لأنَّ الجمع بين الضِّدَّين من المُحال ا.هـ. المرجع السابق (ص:١٢٢-١٢٣).

* وقال –حفظه الله-: **لا يمكن الاجتماع مع التحزُّب؛ لأنَّ الأحزاب أضداد لبعضهم البعض، والجمع بين الضدين مُحال**، والله تعالى يقول: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران:١٠٣].

فنهى سبحانه عن التفرُّق، وأمر بالاجتماع في حزب واحد؛ وهو حزب الله: ﴿أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [المجادلة:٢٢]. وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ [المؤمنون:٥٢].

فالأحزاب والفِرق والجماعات المختلفة ليست من الإسلام في شيء، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [المؤمنون:١٥٩].

فليس لنا إلا الاجتماع على منهج السلف الصالح ا.هـ. المرجع السابق (ص:١٢٣-١٢٤).



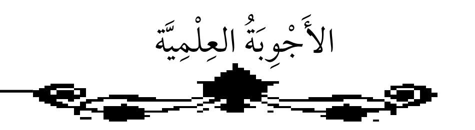
* وقال –حفظه الله–: **وإذا اجتمع المسلمون على التوحيد ومنهج السَّلف؛ وقفوا في وجهِ عدوِّهم صفَّاً واحداً، وإذا تفرَّقوا إلى مناهج لم يستطيعوا الوقوف في وجه عدوِّهم** ا.هـ. المرجع السابق (ص:٨٥).

*** الوجه السَّادِس:**

-المفاسِد التي قد تحصل بعد النُّصح والإنكار والدِّفاع عن المنهج أخفّ وأقلُّ مِنَ المفاسد والأضرار الناتجة عن السكوت وعدم الإنكار:

التَّفرُّق –مع عِلمِنَا وإقرارنا أنَّ المتسبِّب هو المبتدع المفرِّق–؛ أقلُّ وأخفُّ مِن التَّفرّقُ النَّاتِجِ عن السكوتِ وترك الكتابة في المنهج والردود العلميَّة، فإنَّ بالسكوتِ عن البدع وأهلِهَا وترك الردود العلميَّة يضلُّ النَّاس ويبقيهم في عماية الجهل ويجرُّهم إلى التمادي حتَّى يذهب الدِّين شيئاً فشيئاً، ويحصل التَّفرُّق بأوسع وأكثر، ويرجع النَّاس شيعاً وأحزاباً وطوائف أكثر وأكثر، فأيُّ الطريقين يُؤخذ ؟!.

* قال الإمام الشاطبي رحمه الله: حيث تكون الفرقة تدعو إلى ضلالتها وتزيينها في قلوب العوام ومن لا علم عنده، فإن ضرر هؤلاء على المسلمين كضرر إبليس، وهم من شياطين الإنس، فلابد من التصريح بأنهم من أهل البدعة والضلالة، ونسبتهم إلى الفرق إذا قامت له الشهود على أنهم منهم ...



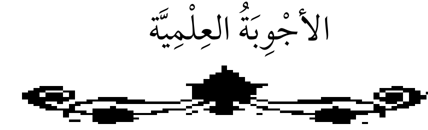
فمثل هؤلاء لابد من ذكرهم والتشريد بهم، لأن ما يعود على المسلمين من ضررهم إذا تركوا، أعظم من الضرر الحاصل بذكرهم والتنفير عنهم إذا كان سبب ترك التعيين الخوف من التفرق والعدواة. ولا شك أن التفريق بين المسلمين وبين الداعين للبدعة وحدهم - إذا أقيم - عليهم أسهل من التفرق بين المسلمين وبين الداعين ومن شايعهم واتبعهم، وإذا تعارض الضرران يرتكب أخفهما وأسهلهما، وبعض الشر أهون من جميعه، كقطع اليد المتآكلة، إتلافها أسهل من إتلاف النفس. وهذا شأن الشرع أبدا: يطرح حكم الأخف وقاية من الأثقل ا.هـ. "الاعتصام" (٢/ ٧٣٠-٧٣١) ت: الشيخ سليم الهلالي.

*** الوجه السابع:**

-صغار البدع والمحْدَثات تتوسَّع وتنتشر حتى تحدث الفُرقة:

إنَّ التوقُّف عن الكتابة في المنهج والردود العلميَّة يجعل البدع تتوسَّع أكثر، وبالتَّالي تحصل النزاعات والفُرقة وتزداد في أوساط المسلمين أكثر.

❋ قال الإمام البربهاري رحمه الله: واحذر صغار المحدثات من الأمور؛ فإن صغير البدع يعود حتى يصير كبيراً، وكذلك كل بدعة أحدثت في هذه الأمة كان أولها صغيراً يشبه الحق، فاغتر بذلك من دخل فيها، ثم لم يستطع الخروج



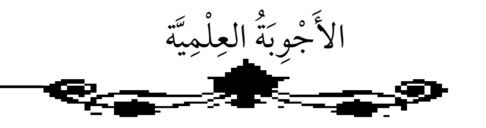
منها، فعظمت وصارت ديناً يدان بها ا.هـ. "شرح السنة" (ص:٣٧-٣٨) فقرة رقم (٦).

* وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: إنما يظهر مِنَ البدع أولاً ما كان أخفّ، وكلَّما ضَعُفَ مَن يقوم بنور النبوَّة قويت البدعة ا.هـ. "التدمرية" (ص:١٩٤).

* وقال الإمام ابن القيم رحمه الله: فإنَّ البِدَعَ تستدرج بصغيرها إلى كبيرها حتَّى ينسلخ صاحبها مِنَ الدِّين كما تنسلّ الشعرة مِنَ العجين، فمفاسد البدع لا يقف عليها إلا أرباب البصائر، والعميان ضالون في ظلمة العمى ا.هـ. "مدار السالكين" (١/ ١٦٩).

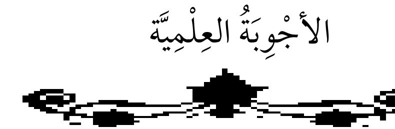
* وقال الإمام الشاطبي رحمه الله: يلزمُ النَّاس البدعَ حتَّى تكون مخالفتها عندهم هي المنكر، وربَّما يُعاقِبون مَن لزِمَ السنَّةَ، وقد يستبيحون دَمَهُ ا.هـ. "الاعتصام".

قلتُ: بهذه الأجوبةِ المختصرة على هذه الشبهةِ يتَّضِحُ لنا أنَّ الكتابةَ في المنهج والردود العلميَّة والذَّب عن السنَّة وجمع النَّاس إليها، وتحذيرهم مِنَ البدعةِ والفُرقة؛ هو الذي يجمع ولا يُفرِّق، ويجلِب ولا يُنفِّر، والحمد لله، وله الفضل وحْدَه.



أمَّا التَّثبيط عن ذلِكَ فإنَّه دعوةٌ إلى الفُرقةِ والتنفير والبقاء على البِدْعَةِ والفتنة، وانتشارها وتوسُّعها، ولا حول ولا قوَّة إلا بالله.

*****



(الجَوَاب على شُبْهَةِ: مُرَاعَاةِ شَغَبِ بَعْضِ الَّذِين يُنْسَبُونَ إِلَى السُّنَّةِ)

هذه الشُّبهةُ سمعتُ بعضَ إخوانِنا يردِّدُها، ونحنُ نجيبُ عنْها بعدَّةِ أجوبَةٍ، ونبطلُها مِن عِدَّةٍ وجوهٍ بإذن الله تعالى.

*** الوجه الأول:**

-أصناف المشاغِبِين على الذَّابين عنِ السنَّة الكاتبين في المنهج:

المشاغبون الذين تصدر مِنهم بعض الأقوال والتَّصرفات السيئة المخالفة للشرع جَرَّاء خروج المؤلفات المنهجيَّة والردود العلميَّة على أهل البدع والأهواء، وأمراض القلوب، أصنافٌ متعدِّدة، مِنها الخارجة عن السنَّة، وهؤلاء معلومٌة أذيتُهم وعداوتُهُم، فأمرهم واضحٌ، ومِنْهم المنتسبون إلى أهلِ السنَّة، وهؤلاء نجملهم في أربعة أصنافٍ، وحديثنا فيهم؛ لأنَّ ضررهم قد يكون أخطر وتلبيسهم قد يكون أشدّ مِن أولئك:

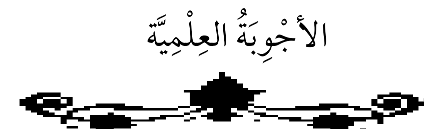
الصنف الأول: المُنْدَسُّون في أهلِ السنَّة ممَّن ليسوا مِنْهم، هؤلاء يزرعون الفِتَنِ والقلاقل، ويقلبون الحقائق، ويُحارِبون الثابتِين، ويُحذِّرون مِنَ الكتب المنهجيَّة، ويُثبِّطون عن الردود العلميَّة، وتظهر مِنْهُم العداوة، لكن باسمِ أهل

السنَّة، وبأساليب وطُرُق ماكرة، وقد ظهر لنا مِن هذا الصِّنف الكثير، لا كثَّرهم الله.

الصنف الثاني: المرضى، الذين أَلِفُوا التمييع، فأصبَحُوا لا يهتمون بهذا الجانِبِ كثيراً، ومَن كتَبَ فيه اشمأزوا مِنه، وأتعبُوه، إمَّا أن يصير مميعاً مثلهم، وإلا آذَوه، ولربَّما شوَّهوا صورتَه، وكلَّبوا عليه النَّاس، وهؤلاء الذين يسعون إلى تحقيق ما يسمونَه بـ(المنهَج الوسَطِي !!)، وإزاحة ما يسمونهم بـ(المنهجيِّين)، ومؤدَّى هذا المنهج: تمييع الدَّعوة السلفيَّة مِن جهة: التثبيط أو التهوين من شأن الردود العلميَّة، وادِّعاء أنَّ هذا الوقت ليس وقت الجرح والتَّعديل، والمجالسة لأهل البدع بحجة هدايتهم وأنَّ مِنهم الطيِّب، ومنهم الذي نرجو هدايتَه، ونحو ذلِكَ، وادِّعاء أنَّ الهجر لا يصلح في هذه الأيام، وإلقاء الدروس والمحاضرات في مساجِدِ أهل البدع، واستقبال أموالِهم، والتسوُّل باسمِ الدَّعوة، والسَّير على بعض ما تتضمَّنه القواعد البدعيَّة، وغير ذلِكَ مِنَ الأمور التي يدَّعون أنَّها هي (المنهج الوَسَطِي !!).

الصنف الثالث: المُغفَّلون، الذين كثيراً ما تُؤتى دعوةُ أهل السنَّة مِن قبَلِهم، هداهم الله.

الصنف الرابع: المُبتدئون في الطَّلب ممَّن نشأوا على غير معرفةٍ بالمنهجِ، ولم يُعرَّفوا بأهل البدع والأهواء، وإنَّما طلبُ علمٍ دون التدخل في هذه الأمور،



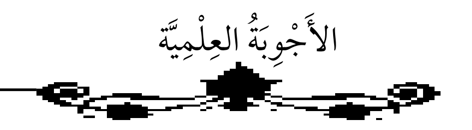
هؤلاء وجدنا مِنْهم شغباً، وتعصُّباً، وتقليداً؛ لأنَّهم يجهلون، ولا يعلمون، والله المستعان.

هذه هي الأصناف المشاغِبة على مَن يكتب في المنهج، ويقوم بالردود العلميَّة على أهل البدع والأهواء، والتي رأيْتُها بعيني، وخبرتُها؛ ونردُّ عليها بكلمةٍ مختصرةٍ جامِعَةٍ، وهي:

-الرَّدُّ على هذه الأصناف:

نحنُ نكتُبُ وننافح عن الدِّين والدَّعوة، ونبيِّن الحقَّ ونظهره، ونكشف الباطل وندحضه بإذن الله تعالى وحده، ونردُّ على البدع وأهلِها؛ فمَن كان مُنْدَسَّاً أو مريضاً فسيكشفه الله جلَّ وعلا، فلا يُعاونون على شغبِهِم، بل الواجِب ردّهم ونصر الكَاتِب، فإذا حَصَلَ ذلِكَ انْكسَروا بإذن الله تعالى، لأنَّ المندس في أهلِ السنَّة إذا رأى تعاوناً ونصرةً وتأييداً بالحقِّ للمنافح الذي يرد البدع وأهلَها ذاب وانكسر وخاب وفشل، بخلاف ما إذا رأى عدَمَ النِّفاح والنَّصرة لِمَن يردُّ البدع وأهلها فإنَّه يفرحَ ويستغلّ الشَّغب مِنَ الدَّاخلِ، ويثير الفِتَنِ على أهل السنة باسم أهل السنة، وحسبنا الله.

ومَنْ كان مغفَّلاً فلعلَّ الله أن يزيل عنه الغفلة بدروسٍ يتلقَّاها حتَّى يصحى، ومَن كان مبتدئاً؛ فإنَّه يتعلَّم ويتعوَّد بقراءته واطلاعه ومتابعته لهذه الكتُب، وسيعرف الحقيقة.

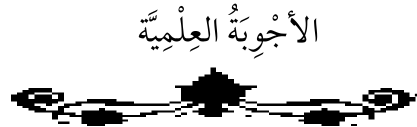


أمَّا أنَّنا نتوقَّف عن الكتابة مِن أجلِ هؤلاء، ونجعلهم يتسلَّطون على القائلين بالحقِّ، الذابين عنِ السنَّة، المكسرين لشوكة الأعداء، ويُقلِّلون مِن شعيرة الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر، ويتسبَّبون في دخول الدَّخن في وسط أهل السنة والجماعة، وتُردُّ الأمور إلى العابثين والجُهَّال، ويفتحون باب العَبَث بالدَّعوة، ويفتحون الفجوات لتسلُّط الأعداء، فلا، لا، لا.

* قال العلامة القاسمي رحمه الله: واطْرَحِ المبالاةَ بكلام الناس لما تتوخَّاه مِنَ الحقِّ؛ فإنَّ السلامةَ مِن طعنِ الناس غايةٌ لا تُدرك، ومَن راض نفسَه عن السكون إلى الحقِّ، وتبيَّن أنَّ ألَمَه في أوَّلِ صدمةٍ؛ كان اغتباطُهُ بذمِّ الناس إيَّاه أشدّ مِن اغتباطه بمدحهم له، ومَن لا عدوَّ له لا خيرَ فيه، ولا منزلة أسقط ممَّن لا عدوَّ له؛ لأنَّها منزلةُ مَن ليس لله تعالى نِعمةٌ يُحسَد عليها -عافانا الله- ا.هـ. "جوامع الآداب في أخلاق الأنجاب" (ص:٣٦).

* وقال الإمام الوادعي رحمه الله: سنُناطح ونُجادِل وندافع عن السُّنَّةِ وعن ديننا، وليقل الأعداء ما يشاؤون ا.هـ. من شريط "التّرغام السادي".

* وقال رحمه الله: أنا لا أبالي إذا تُكلِّمَ فيَّ، وأقولُ ذنوبي أكثر، هذا لم يعثر إلا على الشيء اليسير مِن ذنوبي، وذنوبي أكثر؛ لكن السنَّة أرى أنَّه واجبٌ عليَّ أن أدافِعَ عنها ما استطعتُ ا.هـ. "قمع المعاند" (ص:١٤٧).



* وقال رحمه الله: إنَّ أهلَ العلم وما يقومون به مِنَ الواجِبِ نحو الدَّعوة إلى الله، يواجهون الظَّلَمَة، ويواجهون الشَّهوانيين، ويواجهون المجتمع كلَّه، مِن أجلِ هذا تتكالبُ عليه الدُّنيا، وهذه سنَّةُ الله في خلقه، حتَّى إنَّ مِن أهلِ العلم مَن سُلِّط عليه طلبتُهُ.

فابنُ خزيمة رحمه الله تعالى الحافظ الكبير، كان هناك أربعة مِن طلبتِهِ مِن المؤلِّفين والحفَّاظ، فطمع فيهم بعضُ المعتزلة، واستمالهم إلى مذهب عبد الله بن سعيد بن كلاَّب، حتَّى أصبحت عداوة بين الشيخ وبين طلبتِهِ.

وإذا كانت أذية المؤمن من حيث هي محرَّمة، فأذية أهل العلم مِن بابٍ أولى ...

-وذكر بعض الأمثلة على ذلك إلى أن قال-:

فبعضُ الأشياء تبعث وتُظهر الأعداء الذين يكونون مندسِّين في الحَلْقَةِ وفي المجتمع، فإذا حانَت الفرصة رأيتهم يتنكَّرون، ... ا.هـ. "قمع المعاند" (ص:١٤٠-١٤٥).

* وقال شيخنا يحيى الحجوري -حفظه الله-: لا يضرُّ العالِمَ فقرُهُ، ولا يضرُّ العالِمَ السلفي أن يتكلَّمَ فيه أهلُ الأهواء، ولا يضرُّ العالِمَ السلفي أن يستهزئ به الجُهَّال ا.هـ. "شرح لامية ابن الوردي" (ص:١٧٣).

* **الوجه الثاني:**

-لا يسلمُ مَن كَتَبَ في هذا الباب مِنَ الأذية له ونصب العداء عليه:

الشَّغبُ على مَن كتبَ في هذا الباب معلومٌ، لا يخفى، ومَا مِن شخصٍ يُعرف بالاستِقامَة والحَزْمِ والثبات على المنهج، والبُغض للبدع وأهلِها، والنّهمَة في النِّفاح ، والشجاعة؛ إلا ولا بُدَّ أن يُؤذى بأنواعٍ مِنَ الأذى، وكلما كان ثابتاً راسِخاً قويَّاً كلّما كانت الأذية وشغب الناس -خصوصاً أهل البدع وأمراض القلوب- عليه أكثر.

* قال ورقةُ بن نوفل رضي الله عنه لنبيِّنا محمَّدٍ ﷺ: **لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ، وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا**. رواه البخاري برقم (٣) ومسلم برقم (١٦٠)، عن عائشة رضي الله عنها.

-ما حصل للأنبياء عليهم الصلاة والسلام مِنَ الأذية والعداء:

والأنبياء عليهم الصلاة والسلام عاداهم أقوامُهم، وآذوهم بأنواعٍ مِنَ الأذى، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [الأنعام:٣٤].

واشتدَّت الأذية على بعضهم حتَّى قُتِلَ، وهو نبيٌّ مِن أنبياء الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ

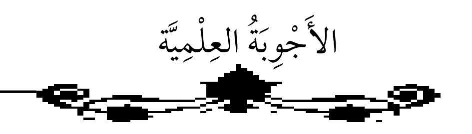
مَرۡيَمَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدۡنَٰهُ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمۡ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ فَفَرِيقٗا كَذَّبۡتُمۡ وَفَرِيقٗا تَقۡتُلُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [البقرة:٨٧]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ نُؤۡمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا وَيَكۡفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلۡحَقُّ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَهُمۡۗ قُلۡ فَلِمَ تَقۡتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبۡلُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٩١﴾﴾ [البقرة:٩١].

ومَا مِن نبيٍّ إلا ورُمِيَ بأنواعٍ مِنَ التُّهَمِ والأباطيل التي تنفِّر النَّاس عنهم، كما قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ ﴿٥٢﴾﴾ [الذاريات:٥٢].

فها هو نوحٌ عليه السلام اتَّهمه قومُه بِالجِدال والافتراء والكذب، وحاربوه، وآذوه، وبقى يدعوهم ألف سنةٍ إلا خمسين عاماً، ومع ذلِكَ لم يؤمِن معه إلا قليلٌ.

وها هو إبراهيم الخليل عليه السلام عُودي وأوذي مِن أقربِ قريبٍ له وهو أبوه، وتكالب عليه قومُهُ، وقذفوه في النَّار، وأرادوا به كيداه، فجعلهم الله الأسفلين، ونجَّاه الله تعالى منهم.

وها هو موسى كليم الله تعالى عليه السلام حَصَلَت له أنواعٌ كثيرةٌ مِن الأذية والعداوة، ومحاولة القتل، وهَربَ مِن مكانٍ إلى مكانٍ، وأوذي في عرضه



وقالوا: إنَّه آدر، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ ۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾ ﴾ [الأحزاب:٦٩].

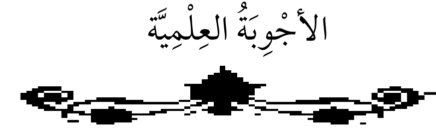
وآذاه فرعون وأيُّما مؤاذاةٍ، واتُّهِمَ بالسِّحر، والكذب، وغير ذلك مِن أنواع الاتِّهامات.

وها هو عيسى المسيح عليه السلام أوذي وعودي وشرد مِن قومِهِ، وأرادوا قتلَهُ، فرفعه الله تعالى، ونجَّاه مِن القوم الظالمين.

وها هو يعقوب عليه السلام أُوذي مِن بعض أبنائه، وحصل له مِنَ الحُزْنِ ما كان سبباً لذهاب بصره، ثمَّ ردَّه الله إليه بظهور يوسف عليه السلام.

وها هو يوسف عليه السلام أُوذي في أبيه، وعرضه، وكانت المؤاذاة مِن إخوتِهِ، فقد كانوا السَّبب في حصول الأذية عليه في عرضه، فقد كذبوا عليه بأنَّه مقتولٌ، وباعوه وهو حرٌّ، وراودته امرأة العزيز على الفاحشة، بل وجرَّته بقميصه لأجلِ ذلك، وأدخلَت عليه نسوةً ليفتنَّه، وسُجِنَ، ولبِثَ في السِّجن بضع سنِينَ، حتَّى فرَّج الله عنه، ونصره، وبرَّأ عرضه، والله المستعان.

وها هو خاتمُ الأنبياء والمرسلين، وأفضل الخلق، وسيد الأولين والآخرين، وحبيب ربِّ العالمين، صاحب الشفاعة الكبرى، والحوض المورود، وأول من يستفتح باب الجنة فيُفتح له، نبيُّنا محمَّدٌ صلى الله عليه وسلم، فإنَّه قد أوذي مؤاذاة شديدةً جِدًّا، حتَّى أراد الأعداء قتلَه وتفريق دمِه بين العشائر والقبائل،



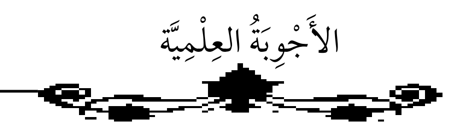
وعانى مِن حروبٍ كثيرةٍ، ومؤامرات كبيرةٍ ماكرة، آذاه الكفار، وآذاه المنافقون مِن داخل الصَّف، فَشُجَّ، وكسرت رباعيتُهُ، وهُشِمَت بيضةُ رأسِهِ، وطُرِدَ مِن أحبِّ البِقَاعِ إليه وهي مكَّة، ووضِع سلى الجزور على رأسِهِ وهو ساجد، وكُذِبَ عليه، واتُّهِمَ بالسِّحر، وقالوا فيه: كذَّابٌ أشِر، وقام عليه بعضُ أقربائه وهو عمُّه أبو لهب لعنه الله، يشوِّهه ويرميه بالكذب، وكلَّب عليه الرجال والصبيان، يطاردونَه ويرمونَه بالحجارة، وأوذي في عرضهِ، واتَّهموا زوجتَهَ بالفاحشة، وأشاعوا عنه السوء كذباً وبهتاناً، وغير ذلِكَ مِن أنواع الأذى.

هل هؤلاء كلُّهم تركوا النِّفاح عن دينِ الله تعالى، ولم يبطلوا الكفر والبدع والأهواء، ولم يبيِّنوا أحوالَ أهلها بحجَّةِ شغب أقوامِهِم عليهم ؟!!!.

-الابتلاء مِن سنن الله الجارية على الثابتين الصداعين بالحقِّ:

ثمَّ إنَّ مِن سُننِ الله تعالى الجارية أنَّ ما مِن شخصٍ يثبت على دينِهِ الحقِّ، ويتحرَّى الصواب، ويتَّبع الدَّليل، ويسير على وفق المنهج السَّلفي إلا ولا بدَّ أن يشتدّ عليه الأذى بقدرِ ثباتِهِ وتمسُّكه واتِّباعه.

* قال رسولُ الله ﷺ: «**الْأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ، يُبْتَلَى الْعَبْدُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ صُلْبًا، اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ، ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَمَا يَبْرَحُ الْبَلَاءُ بِالْعَبْدِ، حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ، وَمَا عَلَيْهِ مِنْ**

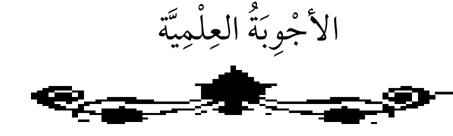


خَطِيئَةٍ». حديثٌ حسنٌ. رواه ابن ماجه في السنن برقم (٤٠٢٣)، وأحمد في المسند برقم (١٥٥٥)، سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

قال تعالى في كتابه الكريم: ﴿الٓمٓ ١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٣﴾ [العنكبوت:١-٣]، وقال تعالى: ﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَأۡتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۖ مَّسَّتۡهُمُ ٱلۡبَأۡسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلۡزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ ٢١٤﴾ [البقرة:٢١٤]، وقال تعالى: ﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَيَعۡلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٤٢﴾ [آل عمران:١٤٢]، وقال تعالى: ﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تُتۡرَكُواْ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَلَمۡ يَتَّخِذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَلِيجَةٗۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٦﴾ [التوبة:١٦].

فالابتلاء جارٍ على المؤمنين خصوصاً القائمين بنصرةِ الدِّين، والنفاح عنه، بالقلم والبيان.

فمَن هذا الَّذي يريد أن يُقيم الحقَّ، وينصرُه، ويذبُّ عنه، ويُبيِّن الباطل، ويدحضه بدونِ أن يشغب عليه أحدٌ مِنَ الناس، منَ الداخل أو الخارج ؟!.



*** الوجه الثالث:**

-النَّهي عن ترك الصدع بالحقِّ وردّ الباطل مخافة شغب النَّاس:

قد نهى رسولُنا ﷺ عن أن نترك الصَّدعَ بالحقِّ مخافةَ شغب النَّاس، فقال ﷺ: «**لَا يَمْنَعَنَّ أَحَدَكُمْ هَيْبَةُ النَّاسِ أَنْ يَقُولَ فِي حَقٍّ إِذَا رَآهُ، أَوْ شَهِدَهُ أَوْ سَمِعَهُ**». أخرجه أحمد برقم (١١٠١٧)، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. وإسناده صحيح، وصحَّحه الشيخان الألباني والوادعي -رحمهما الله.

وهذا في حقِّ مَن يهاب النَّاس ألا يتكلَّموا فيه، أو يؤذوه بما لا يؤدِّي إلى القتل على غلبة الظنِّ، أو الضَّرر الذي لا يطيقه فيهلك، ونحو ذلِكَ؛ فإنَّه إن كان يؤدِّي به إلى ذلِكَ، فلا حَرَجَ عليه بترك قولِ الحقِّ؛ فإنَّه معذورٌ.

* وقد أشار إلى ذلك الحافظ ابنُ رجبٍ رحمه الله في "جامع العلوم والحِكَم" (٢/ ٢٤٨)، وقال: محمول على أن يكون المانع له من الإنكار مجرَّد الهيبة، دون الخوف المسقط للإنكار ا.هـ.

* قال الإمام الألباني رحمه الله: في الحديث: النَّهي المؤكَّد عن كتمان الحق خوفاً من الناس، أو طمعاً في المعاش، فكلُّ من كتمه مخافة إيذائهم إيَّاه بنوع من أنواع الإيذاء؛ كالضرب والشَّتم وقطع الرزق، أو مخافة عدم احترامهم إياه، ونحو ذلك؛ فهو داخل في النَّهي، ومخالف للنبيِّ ﷺ، وإذا كان هذا حالُ من يكتم الحق وهو يعلمه؛ فكيف يكون حال من لا يكتفي بذلك ؟!، بل يشهد بالباطل

على المسلمين الأبرياء، ويتهمهم في دينهم وعقيدتهم، مسايرة منه للرعاع ، أو مخافة أن يتهموه هو أيضاً بالباطل إذا لم يسايرهم على ضلالهم واتهامهم !!، فاللهم ثبتنا على الحق ، وإذا أردتَّ بعبادك فتنة ، فاقبضنا إليك غير مفتونين ا.هـ. "السلسلة الصحيحة" (١/ القسم الأول/ ٣٢٥).

*** الوجه الرَّابع:**

-ترك الواجب أو فعل المحرَّم خوف النَّاس محرَّمٌ:

السكوت عن الباطل الخوف مِنَ النَّاس ومِن شغبهِم بما يؤدِّي إلى تركِ واجبٍ، أو الوقوع في محرَّمٍ، لا يجوز؛ ومعلومٌ أنَّ الرسائل المنهجيَّة والردود العلميَّة قد يتعيَّن كتابتها، ولا سيما إذا كانت إنكاراً للمنكرات، فإنَّ إنكار المنكر واجبٌ، وقد يكون عينياً وقد يكون كفائياً، فترك الواجب مخافةَ النَّاس، محرَّمٌ؛ وهو شِركٌ أصغر، نسأل الله السلامة والعافية.

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ ﴾ [آل عمران:١٧٥]، وقال تعالى: ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ [التوبة:١٣].

❋ قال العلامة صالح الفوزان حفظه الله: **مِن أنواع الخوف المذموم: أن يتركَ الإنسان ما أوجب الله عليه مِنَ الدَّعوةِ إلى الله والأمر بالمعروف والنَّهي عن**

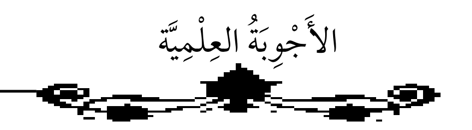
المنكر خوفاً مِنَ النَّاس أن يؤذوه أو يضايقوه أو يُعذِّبوه فيترك الأمر بالمعروف والنَّهي المنكر والدَّعوة إلى الله وبيان الحق خوفاً مِنَ النَّاس؛ فهذا شركٌ أصغر، وهو محرَّمٌ ، ... ونعني بذلِكَ: القادر على الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر، والقادر على الدَّعوة إلى الله، أمَّا الذي لا يقدر أو ليس عنده استطاعة فهذا معذورٌ ا.هـ. "إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد" (٢/ ٥١).

* وقال العلامة صالح آل الشيخ حفظه الله: الخوف المحرَّم: **وهو أن يخاف مِن مخلوقٍ في امتثال واجبٍ، أو البعد عن المحرَّم، ممَّا أوجبه الله أو حرَّمه** ... قال بعض العلماء: وهو نوعٌ مِن أنواع الشِّرك؛ **لأنَّ ترك الأمر والنَّهي الواجب بشرطه خوفاً مِنَ ذمِّ الناس، أو مِن ترك مدحهم له، أو مِن وصمهم له بأشياء؛ فيه تقديمٌ لخوف الناس على خوفِ الله تعالى، وهذا محرَّمٌ**؛ لأنَّ الوسيلةَ إلى المحرَّم محرَّمة ا.هـ. "التمهيد لشرح كتاب التوحيد" (ص: ٣٥٤).

*** الوجه الخامِس:**

-لا طاعة لمخلوقٍ في معصية الخالق جلَّ وعلا:

لا يجوز للمخلوقِ أن يطيع المخلوق في معصيةِ الخالق سبحانَهُ، فقد يرى الكاتبُ منكراً استطاع أن يُنكرَه، ويرى أباطيل استطاع ردَّها، وشبهات استطاع تفنيدَها؛ فإنَّه يجب عليه القيام بذلك، ولا سيما إذا لم يقم به أحدٌ، والذي يوقفه عن ذلِكَ يأمرُهُ بمعصيةِ الله تعالى، فلا يجوز له أن يطيعه في ذلِك.

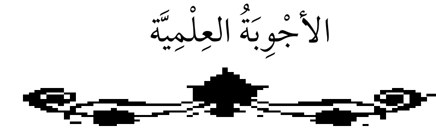


* روى البخاري برقم (٧٢٥٧) ومسلم برقم (١٨٤٠)، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**لاَ طَاعَةَ فِي مَعْصِيَةِ الله، إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ**».

* وروى البخاري برقم (٧١٤٤) ومسلم برقم (١٨٣٩)، عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ، إِلاَّ أَنْ يُؤْمَرَ بِمَعْصِيَةٍ؛ فَإِنْ أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلاَ سَمْعَ وَلاَ طَاعَةَ**».

* قال الإمام الشوكاني رحمه الله: قوله: "إنما الطاعة في المعروف": فيه بيان ما يطاع فيه من كان من أولي الأمر، وهو الأمر المعروف لا ما كان منكراً، والمراد بالمعروف ما كان من الأمور المعروفة في الشَّرع لا المعروف في العقل أو العادة، لأنَّ الحقائق الشَّرعية مقدمة على غيرها على ما تقرر في الأصول ا.هـ. "نيل الأوطار" (٧/ ٢٧١).

* وقال العلامة المناوي رحمه الله: لا طاعة لأحدٍ من المخلوقين كائناً من كان ولو أباً أو أماً أو زوجاً في معصية الله، بل كلُّ حقٍّ وإن عظم ساقط إذا جاء حق الله، إنما الطاعة في المعروف؛ أي: فيما رضيه الشارع واستحسنه، وهذا صريحٌ في أنه لا طاعة في محرَّم، فهو مقيِّد للأخبار المطلقة ا.هـ. "فيض القدير" (مادة: لا).



* وقال العلامة السَّعدي رحمه الله: من أمر منهم بمعصية الله بفعل محرم، أو ترك واجب: فلا طاعة لمخلوق في معصية الله ا.هـ. "بهجة قلوب الأبرار" (ص:١٣٢).

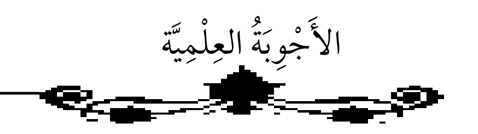
*** الوجه السادس:**

-تحريم اتِّخاذ الناس أرباباً مِن دون الله تعالى:

طاعةُ المخلوق في ترك واجبٍ، أو فعل محرَّم، قد يصيِّره ربَّاً مِن دُونِ الله تعالى بغضِّ النَّظر عن القصْدِ، ولا سيما إذا كان المخلوق المُطاع مِنَ العلماء أو العُبَّاد، فمَن أطاعه في ترك واجبٍ بِمَا لا إكراه مُتَحقِّق فقد اتَّخذه ربَّاً، وهذا يُقال له شِرْكُ الطَّاعةِ، نسأل الله السلامةَ والعافية.

والله تعالى يقول في كتابه الكريم: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [التوبة:٣١].

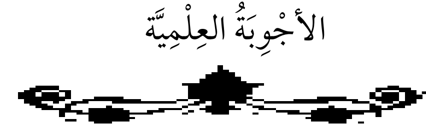
* قال العلامة عبد الرحمن بن حسن رحمه الله: الآيةُ دلَّت على أنَّ من أطاع غير الله ورسوله، وأعرض عن الأخذ بالكتاب والسنة في تحليل ما حرم الله، أو تحريم ما أحله الله، **وأطاعه في معصية الله، واتَّبعه فيما لم يأذن به الله**، فقد اتخذه



ربَّاً ومعبوداً وجعله لله شريكاً، وذلك ينافي التوحيد الذي هو دين الله الذي دلَّت عليه كلمة الإخلاص "لا إله إلا الله"؛ فإن الإله هو المعبود، وقد سمى الله تعالى طاعتهم عبادة لهم، وسماهم أرباباً، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۦنَ أَرْبَابًا﴾، أي: شركاء لله تعالى في العبادة، ﴿أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [آل عمران:٨٠]، وهذا هو الشِّرك. فكلُّ معبودٍ ربٌّ، **وكل مطاع ومتَّبع على غير ما شرعه الله ورسوله فقد اتخذه المطيع المتبع رباً ومعبوداً**؛ كما قال تعالى في آية الأنعام: ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾﴾ [الأنعام:١٢١] ا.هـ. "فتح المجيد" (ص:١٠٦).

* وقال العلامة الألوسي رحمه الله: الأكثرونَ مِنَ المفسِّرين قالوا: ليس المراد مِنَ الأرباب أنَّهم اعتقدوا أنَّهم آلهة العالم، بل المراد أنَّهم أطاعوهم في أوامرهم ونواهيهم ا.هـ.

* وقال العلامة صالح الفوزان حفظه الله: دلَّ على أنَّ طاعةَ الأحبار والرُّهْبَان في تحريم ما أحلَّ الله، أو تحليل ما حرَّم الله أنَّهُ يُعتبر شركاً بالله عزَّ وجلَّ ...



مَن أطاع العلماء والأمراء أو غيرهم في تحريم الحلال أو تحليل الحرام أنَّه قد اتخذهم شركاء لله سبحانه وتعالى في عبادته، وهذا محلُّ الشاهد مِنَ الآيةِ ا.هـ. "إعانة المستفيد" (٢/ ١١٦-١١٧).

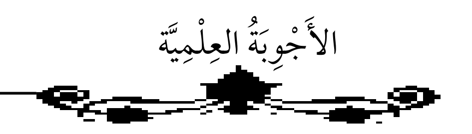
قلتُ: عُلِمَ بهذا أنَّ مَن أطاع مخلوقاً بترك إنكار المنكرات، والسكوت عن الصدع بالحقِّ وكشف زيف أهل البدع والضَّلال فقد اتَّخذه ربَّاً، سواء كان المُطاع الذي يأمر بذلِكَ، يحلُّ ما حرَّم الله، أو يحرِّم ما أحلَّ الله، أو لم يكن كذلِكَ، كما هو مبيَّنٌ مِن كلامِ أهل العلم، وكما أوضحه أيضاً شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في "رفع الملام عن الأئمة الأعلام" (ص:٨٨).

-إشراكُ المُطيع المُطاعَ بالله تعالى:

فالمُطيع أشركَ المُطاع بالله تعالى.

فإن أطاعه في تحليل الحرام أو تحريم الحلال أوفي معصيةِ الله تعالى مع علمه بذلِكَ، **واستباح ذلِكَ واعتقَدَ جوازه**؛ فإنَّه يقع في الشرك الأكبر.

وإن أطاعه يعتقد عدم جواز ذلِكَ، وأنَّ الواجب هو تحليل الحلال وتحريم الحرام، وطاعة الله ورسوله، ولا تجوز طاعة المخلوق في معصية الخالق، وإنَّما خوفاً لا يُعذر معه، أو لهوىً في النَّفس أو رغبةً في نفسِهِ؛ فإنَّه يقع في الشرك الأصغر.



وأمَّا إذا لم يكن عالماً بمخالفة المطاع لشرع الله، وظنَّه على الحقِّ، فهو معذورٌ بجهله.

والله تعالى أعلم.

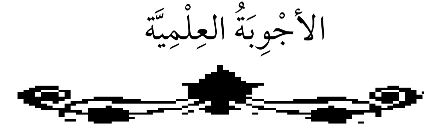
وانظر: "كتاب الإيمان" لشيخ الإسلام (ص:٦٦)، و"مجموع الفتاوى" (٧/ ٧٠)، و"إعانة المستفيد" للفوزان (٢/ ١٠٧)، و"التمهيد لشرح كتاب التوحيد" لصالح آل الشيخ (ص:٤٠١-٤٠٢).

*** الوجه السابع:**

-مَن يتلقى الأذية وشغب الناس عليه ليس له إلا حالتان:

ممَّا سبق معنا في الوجه الثاني أنَّ الأذية والمعاداة لا بدَّ أن تحصل على مَن يسلُك هذا الطريق، ويُنافح عن السنَّةِ وأهلِها، فسيحصل له الابتلاء؛ فسيكون حالُهُ أحدُ أمرَين؛ إمَّا الثَّبات والسَّير على الجادَّة، وإمَّا التَّزعزع والرجوع إلى الخَلْفِ، وترك ما أَوْجَبَ الله تعالى عليه، ويكون حالُهُ: النَّشاط والثبات والإقدام في النِّفاح في حالِ الرخاء، والتَّقهقر والرجوع والتَّزعزع في حال الشِّدَّةِ والابتلاء.

❋ قال الإمام الوادعي رحمه الله: أنا لا أبالي إذا تُكلِّمَ فيَّ، وأقولُ ذنوبي أكثر، هذا لم يعثر إلا على الشيء اليسير مِن ذنوبي، وذنوبي أكثر؛ لكن السنَّة أرى أنَّه واجبٌ عليَّ أن أدافِعَ عنها ما استطعتُ ا.هـ. "قمع المعاند" (ص:١٤٧).



* وقال شيخنا يحيى الحجوري –حفظه الله-: لا يضرُّ العالِمَ فقرُهُ، ولا يضرُّ العالِمَ السلفي أن يتكلَّمَ فيه أهلُ الأهواء، ولا يضرُّ العالِمَ السلفي أن يستهزئ به الجُهَّال ا.هـ. "شرح لامية ابن الوردي" (ص:١٧٣).

*** الوجه الثامن:**

-خوف شغب الناس وأذيتهم لا يبرِّر إيقاف الكتابة في المنهج مطلقاً؛ فكيف بمجرَّد التوهم:

إنَّ خوف شغب النَّاس، وأذيتهِم؛ لا يُبرِّر التَّوقُّف عن الكتابةِ في المنهجِ، والرَّد على أهل البدع والأهواء مطلقاً؛ فكيف بمجرَّدِ التَّوهُّم.

* بوَّب الإمام الوادعي رحمه الله في "جامعه" (٥/ ١٦٧) فقال: (لا يُترك الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر لُمجرَّدِ أوهام سوء العاقبة). ثمَّ ذكر حديث أبي الدرداء رضي الله عنه. ونصُّه:

* عن أبي الدَّرداء رضي الله عنه، عن النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**لِكُلِّ شَيْءٍ حَقِيقَةٌ، وَمَا بَلَغَ عَبْدٌ حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ، وَمَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ**». أخرجه أحمد في "المسند" برقم (٢٧٤٩٠). بإسنادٍ حسنٍ.

* قال العلامة الطوفي رحمه الله: وإنْ كان –يعني المفسدة الكبرى- مشكوكاً فيه لم يسقط، وإن كان مظنوناً فهو في محلِّ نظرٍ، فليرجع فيه إلى اجتهادِ الْمُنْكِرِ،

بحسب ما يقتضيه الحال والقرائن، ونحوها، فإن ترجَّح عنده الإنكار أنْكَرَ، وإلا تركَ ا.هـ. "التعيين في شرح الأربعين" (ص:٢٨٩).

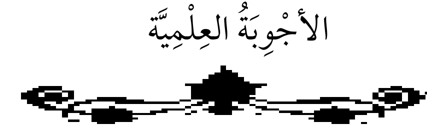
* وقال العلامة الصَّالِحِي الدّمشقي رحمه الله: ولا يسقط فرضه –يعني الأمر والنهي– بالتوهُّم؛ لأنَّه لو قيل له: لا تأمر فلاناً بالمعروف فإنَّه يقتلك لم يسقط عنه ذلك ...، ولا يسقط وجوبه أيضاً بتأويلٍ ولا مداهنةٍ ...، ولا يسقط وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالعزلة وعدم الاختلاط بالناس ا.هـ. باختصار. "الكنز الكبر" (ص:١٢٨).

قلتُ: قولي: إن خوف شغب الناس وأذيتهم لا يبرِّر التوقُّف عن الكتابة في المنهج ... مطلقاً: قولي مطلقاً؛ لأنَّه إن أدَّى إلى ضررٍ لا يُطاق؛ فإنّهَ معذورٌ. وأمَّا إذا أدَّى إلى مفسدةٍ كبرى وعُظمى؛ فإنَّه لا يجوز بالاتفاق؛ نقله الصنعاني رحمه الله فقال: اتَّفق العلماء مِنَ الفِرَقِ كُلِّها أنَّه إذا أدَّى إنْكارُ المنكر إلى أنكر مِنه لم يجز إنْكاره ا.هـ. "الإشاعة" (ص:٥٢).

*** الوجه التاسع:**

-الشَّغب المتعدِّي على الآخرين سببه صاحب المُنْكَر لا الكاتب النَّاصح:

إذا حصل شغبٌ متعدٍّ على الآخرِين؛ فالمتسبِّب هو المبتدع وصاحب الهوى، وصاحب المنكر، فاللوم عائدٌ على هذا الصِّنف لا على صنف الكاتبين المنكرين الذَّابين عن الحقِّ بعلمٍ وحكمةٍ.



* قال الإمام ابن باز رحمه الله: ... **اللوم كل اللوم على من تمسَّك بالباطل وأبى أن ينصاع إلى الحق، أمَّا من تمسَّك بالحقِّ ودعا إليه وأوضح بطلان ما خالفه؛ فهذا لا لوم عليه، بل هو مشكورٌ، وله أجران أجر اجتهاده وأجر إصابته للحق ا.هـ.** "مجموع فتاوى ومقالات متنوعة" (٣/ ٦٠).

* وقال العلامة أحمد النجمي رحمه الله: هذا الرجل الذي جاء ونصح فعل خيراً، وأحسَنَ، فهل يُقال إنَّه أحدث فتنةً ؟!؛ **كذلك أيضاً مَن ينبِّه الناس الآن ويُنبِّه طلاب العلم على مَن يريد بهم شرَّاً ... إنَّما هم ناصحون لإخوانهم...** هؤلاء الذين يقولون هذا القول: **قولهم باطلٌ؛ وخاطئ، وهم أصحاب الفتنة؛ الذين يريدون السكوت على الباطل حتَّى يستفحل الأمر** ... ولا شكَّ أنَّ الذي ينبِّه الناس على الشرِّ قبل وقوعه؛ **هذا ناصحٌ لا داعية فتنة**، وإنَّ الذي يقول هذا الكلام: قد قلَبَ الحقيقة؛ **وإنَّما الحقيقة أنَّ الفتنة هي السكوت على مثل هذا العمل حتَّى يستفحل الأمر** ا.هـ. المراد مِن "الفتاوى الجلية عن المناهج الدَّعوية" (ص:٣٨-٣٩).

* * * * *

(الجَوَابُ عَلَى شُبْهَة: أَنَّ مَا تَضَمَّنَتْهُ الكُتُبُ المَنْهَجِيَّة مَبْسُوطٌ فِي الكُتُبِ المُطَوَّلَةِ فَلاَ دَاعِيَ لإِفْرَادِهَا)

هذِهِ شُبْهَةٌ سمعتُها بأذني مِن بعضِ النَّاس، بل وكرَّرها بعضهم لي مراراً، وأنا أجيبُهُم على هذه الشبهةِ مِن عِدَّةِ وجوهٍ:

*** الوجه الأول:**

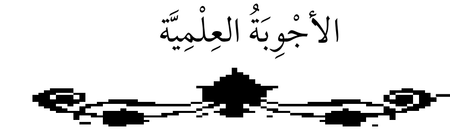
ما كلُّ النَّاس يستطيع الرجوع إلى المطوَّلات، ويعرف موضع تفنيد الشبهة وإنكار المنكر، بل إنَّ بعض طلبةِ العلم لا يستطيع لذلِك، وهذا مسلَّمٌ لا يُنازع فيه.

*** الوجه الثاني:**

ما كلُّ النَّاس يستطيع أن يفهَم ما في الكتب المطوَّلات، بل حتَّى بعض طلبة العلم، وهذا أيضاً مسلَّمٌ لا يُنازَع فيه.

*** الوجه الثالث:**

لا يكون الموضوع مستوعَبَاً إذا كان مفرَّقاً في الكتُبِ، بخلاف ما إذا جُمِعَ في جُزْءٍ، وبُيِّن؛ فإنَّه يكون أقرب إلى الفَهْمِ والاستيعاب وتركيز الأذهان، ونحو ذلِكَ.



*** الوجه الرَّابع:**

لو سلَّمْنا لهذه الشبهةِ لَمَا وُجِدَت الردود العلميَّة، ولا المؤلَّفات المنهجيَّة، ولصار كثير مِنَ الناس في عمايةٍ عن الحقِّ، ولانتشرت البدع والأهواء بكثرةٍ.

*** الوجه الخامس:**

مِنَ المعلوم أنَّ هناك شبهاتٍ في كتبٍ مفردَةٍ، تنصر البِدَع، وتهدم السُّنن تحتاج إلى نقاشٍ وردٍّ؛ هل يُقال ما في داعي للرَّدِّ في جزءٍ مستقلٍّ، بل يُرجع إلى المطوَّلات ؟!!!.

*** الوجه السَّادس:**

-الكتابة في المنهج والرد على المبطلين يُعدُّ مِن أقوى الأقلام وأصحابها أهل الحجَّة والبيان:

إنَّ الكتابةَ في المنهجِ والرَّدّ على أهل البدع والأهواء في جزءٍ مستقلٍّ يُعدُّ مِن أقوى الأقلامِ وأبرزها، وأصحابُها أهلُ الحجَّةِ النَّاصِرُون لِمَا جاءت به الرُّسُل؛ المحاربون لأعدائهم.

❋ قال الإمام ابن القيم رحمه الله: القلم الثاني عشر: القلم الجامع، وهو قلمُ الرَّدّ على المبطلين، ورفع سنة المحقين، وكشف أباطيل المبطلين على اختلاف أنواعها وأجناسها، وبيان تناقضهم وتهافتهم وخروجهم عن الحق ودخولهم في الباطل.

وهذا القلم في الأقلام نظير الملوك في الأنام، وأصحابه أهل الحجة الناصرون لما جاءت به الرسل، المحاربون لأعدائهم، وهم الداعون إلى الله بالحكمة، والموعظة الحسنة، المجادلون لمن خرج عن سبيله بأنواع الجدال، وأصحاب هذا القلم حربٌ لكلِّ مبطلٍ وعدوٌّ لكلِّ مخالف للرُّسل، فهم في شأنٍ وغيرهم من أصحاب الأقلام في شأن ا.هـ. "التبيان في أقسام القرآن" (ص:٢١٢).

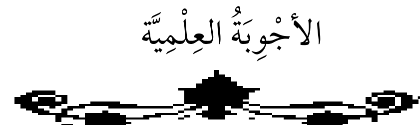
*** الوجه السابع:**

-الكتابة في هذا الباب تدخل تحت نوعٍ مِن أنواع التأليف:

الكِتابَةُ في هذا الباب داخلةٌ تحت نوعٍ مِن أنواع التأليف؛ فما المانع مِن طرقِه لِمَن كان له أهلاً ؟!!.

* قال العلامة ابنُ خلدون رحمه الله: إن الناس حصروا مقاصد التأليف التي ينبغي اعتمادها وإلغاء ما سواها، فعدوها سبعة:

أولها: **استنباط العلم بموضوعه، وتقسيم أبوابه وفصوله، وتتبع مسائله، أو استنباط مسائل ومباحث تعرض للعالم المحقق ويحرص على إيصاله بغيره، لتعم المنفعة به فيودع ذلك بالكتاب في المصحف، لعل المتأخر يظهر على تلك الفائدة،** كما وقع في الأصول في الفقه. تكلَّم الشافعي أولاً في الأدلة الشرعية اللفظية



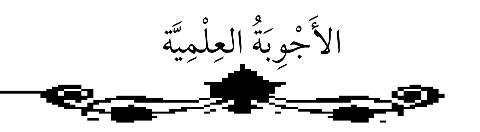
ولخَّصها، ثم جاء الحنفية فاستنبطوا مسائل القياس واستوعبوها، وانتفع بذلك من بعدهم إلى الآن.

وثانيها: أن يقف على كلام الأولين وتآليفهم فيجدها مستغلقةً على الأفهام ويفتح الله له في فهمها فيحرص على إبانة ذلك لغيره ممن عساه يستغلق عليه، لتصل الفائدة لمستحقها. وهذه طريقة البيان لكتب المعقول والمنقول، وهو فصل شريف.

وثالثها: **أن يعثر المتأخر على غلط أو خطأٍ في كلام المتقدمين ممن اشتهر فضله وبعد في الإفادة صيته، ويستوثق في ذلك بالبرهان الواضح الذي لا مدخل للشك فيه، فيحرص على إيصال ذلك لمن بعده، إذ قد تعذر محوه ونزعه بانتشار التأليف في الآفاق والأعصار، وشهرة المؤلف ووثوق الناس بمعارفه، فيودع ذلك الكتاب ليقف على بيان ذلك.**

ورابعها: أن يكون الفن الواحد قد نقصت منه مسائل أو فصول بحسب انقسام موضوعه فيقصد المطلع على ذلك أن يتمم ما نقص من تلك المسائل ليكمل الفن بكمال مسائله وفصوله، ولا يبقى للنقص فيه مجال.

وخامسها: أن يكون مسائل العلم قد وقعت غير مرتبة في أبوابها ولا منتظمة، فيقصد المطلع على ذلك أن يرتبها ويهذبها، ويجعل كل مسألة في بابها، كما وقع في "المدونة" من رواية سحنون عن ابن القاسم، وفي "العتبية" من رواية العتبي عن أصحاب مالك ، فإن مسائل كثيرة من أبواب الفقه منها قد وقعت في غير بابها فهذب ابن أبي زيد "المدونة" وبقيت "العتبية" غير مهذبة.

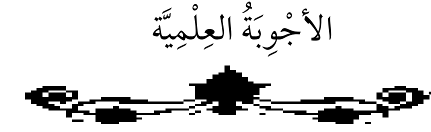


فنجد في كل باب مسائل من غيره. واستغنوا بالمدونة وما فعله ابن أبي زيد فيها والبرادعي من بعده.

وسادسها: **أن تكون مسائل العلم مفرقة في أبوابها من علوم أخرى فيتنبه بعض الفضلاء إلى موضوع ذلك الفن وجميع مسائله، فيفعل ذلك، ويظهر به فن ينظمه في جملة العلوم التي ينتحلها البشر بأفكارهم،** كما وقع في علم البيان. فإن عبد القاهر الجرجاني وأبا يوسف السكاكي وجدا مسائله مستقرية في كتب النحو وقد جمع منها الجاحظ في كتاب "البيان والتبيين" مسائل كثيرة، تنبه الناس فيها لموضوع ذلك العلم وانفراده عن سائر العلوم، فكتبت في ذلك تآليفهم المشهورة، وصارت أصولاً لفن البيان، ولقنها المتأخرون فأربوا فيها على كل متقدم.

وسابعها: أن يكون الشيء من التآليف التي هي أمهات للفنون مطولاً مسهباً فيقصد بالتأليف تلخيص ذلك، بالاختصار والإيجاز وحذف المتكرر، إن وقع، مع الحذر من حذف الضروري لئلا يخل بمقصد المؤلف الأول.

فهذه جماع المقاصد التي ينبغي اعتمادها بالتأليف ومراعاتها. وما سوى ذلك ففعل غير محتاج إليه وخطأ عن الجادة التي يتعين سلوكها في نظر العقلاء، مثل انتحال ما تقدم لغيره من التآليف أن ينسبه إلى نفسه ببعض تلبيسٍ، من تبديل الألفاظ وتقديم المتأخر وعكسه، أو يحذف ما يحتاج إليه في الفن أو يأتي



بما لا يحتاج إليه، أو يبدل الصواب بالخطأ، أو يأتي بما لا فائدة فيه. فهذا شأن الجهل والقحة ا.هـ "مقدمة ابن خلدون" (ص:٣٤٠).

قلتُ: والكتابة في المنهج والردود العلميَّة ترجع إلى المقصد الأول والثالث والسادس.

* وقد لخَّص هذه المقاصد العلامة حاجي خليفة رحمه الله فقال: ثم إنَّ التأليف على سبعة أقسام، لا يؤلِّف عالمٌ عاقل إلا فيها؛ وهي:

إما شيء لم يسبق إليه فيخترعه.

أو: شيء ناقص يتممه.

أو: شيء مغلق يشرحه.

أو: شيء طويل يختصره دون أن يخل بشيء من معانيه.

أو: شيء متفرق يجمعه.

أو: شيء مختلط يرتبه.

أو: شيء أخطأ فيه مصنفه فيصلحه ا.هـ "كشف الظنون" (١/ ٣٥).

وانظر: "إيثار الحق على الخلق" لابن الوزير (ص:٢٧).

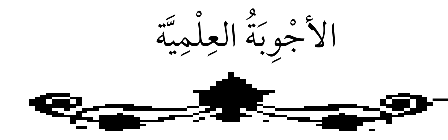
* * * * *

(وَصِيَّةٌ عَظِيمَةٌ مِنْ حُذَيفَةَ بنِ اليَمَانِ رضي الله عنه لِعَبْدِ اللّٰهِ بنَ مَسْعُودِ رضي الله عنه)

* عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه دخل على حذيفة رضي الله عنه فقال: أوصنا يا أبا عبد الله، فقال حذيفة: أما جاءك اليقين؟ قال: بلى. قال: **فإن الضَّلالة حق الضلالة أن تعرف اليوم ما كنت تنكر قبل اليوم، وأن تنكر اليوم ما كنت تعرف قبل اليوم، وإياك والتلوُّن؛ فإن دين الله واحد** ا.هـ.

رواه علي بن الجعد في "المسند" (٣٠٨٣) واللالكائي في "أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة" رقم (١٢٠) والبيهقي في "السنن الكبرى" (١٠/ ٤٢) وهو أثر صحيح.

* * * * *



(الخَاتِمَةُ)

هذه بعض الشُّبُهات التي أسمَعُها مراراً مِن بعضِ النَّاس لإيقاف الكِتابَةِ في المنهج والردود العلميَّة، وفَّقنا الله تعالى لنقاشِهَا نقاشاً علميًّا، مع مراعاةِ الاختصار كي تصل الفائدة سهلةً ميسَّرةً، فإنْ أَصَبْتُ فمِنَ الله تعالى وحده، وله الفضل والمِنَّة، ولا حول ولا قوَّة لي إلا به، وإن أخطأتُ فمِن نفسي والشيطان، والله ورسولُه مِنه بريئان، وأستغفر الله تعالى وأتوب إليه.

ومَن وجَدَ ما يحتاج إلى تنبيهٍ وإصلاحٍ فليدلَّني عليه، مشكوراً مأجوراً، وبالله التوفيق، والحمد لله أولاً وآخراً، وظاهراً وباطناً.

وكتب

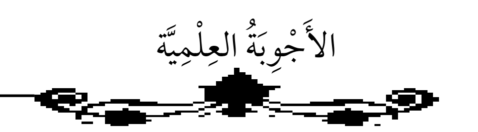
أبو عبد الرحمن معاذ بن أحمد بن فؤاد الزَّعيم

اليمن –إب– مركز الإمام الوادعي بقرية ماتر

يوم الخميس ٧/ مِن شهر شوال/ لعام ١٤٣٩هـ

*****

(الفِهْرَسُ)



* * * * *